الخدمة الإجتماعية الناهضة

كيف تصنع أملا وتبلغ مأمولا

الدكتور عقيل حسين عقيل

طرابلس، ليبيا
2023

الخدمةُ الاجتماعيَّة النَّاهضة

(كيف تصنع أملًا وتبلغ مأمولًا)

أ د. عقيل حسين عقيل

طرابلس ليبيا

2023م

المحتويات

المقدِّمةُ 4

الأملُ 6

منابعُ الأمل..... 9

توليد الأمل..... 16

الأملُ ليس الرَّجاء 25

الأمل ليس الأمنية..... 27

الأملُ ليس الحُلم 30

الأمل ليس التفاؤل 32

الأملُ ليس الغاية..... 34

الأمل ليس الطُّموح..... 41

الأملُ ليس المستحيل 48

الأملُ ليس المعجز..... 67

كيف تصنع أملًا..... 77

صنع الأمل يستوجب إرادة..... 91

الإرادة مصدر قوَّة 97

امتلاكُ الإرادة امتلاك قرار..... 101

بلوغ المأمولُ 106
الأملُ والمأمول في دائرة الممكن..... 114
صُنع المأمول صُنع مستقبل..... 139
نيل المأمولُ تبوء مكانة..... 152
صدر للمؤلّف 157
المؤلَّفاتُ..... 159
المؤلِّفُ في سطورٍ..... 181

المقدِّمةُ

الخدمة الاجتماعيَّة مهنة ناهضة لها من الغايات الإنسانيَّة ما لها، وفوق ذلك لها من المأمولات ما لها؛ ولذا فالأمل بالنّسبة إلى ممارسيها لا يفارق؛ ذلك أنَّه في دائرة الممكن ليس بمستحيلٍ.

ومن هنا فقد تمركز مؤلَّفنا على تساؤلين رئيسين:

- كيف نصنع أملًا؟
- كيف نبلغ مأمولًا؟

ومع أنَّهما سؤلان فقط؛ فإنَّ تمركزهما كان على معرفة الكيفيَّة، وهنا يصبح الأمر ليس بهنٍ؛ فمعرفة الكيفيَّة تتطلَّب تقصي مع مراعاة الدِّقة في صوغ الجملة وصوغ المعلومة، ثمَّ تحليلها بغاية استخلاص النتائج منها؛ لكي يصبح بعد ذلك التفسير للاستنتاجات ميسّرًا.

ومع أنَّ الخدمة الاجتماعيَّة النَّاهضة تتكئ على التنظير؛ فإنَّ الممارسة المهنيَّة بالنِّسبة إليها هي المستهدفة بحثًا ودراسة، ولهذا ارتأينا أن نقدِّم هذا الجهد للقرَّاء وأهل التخصّص في الخدمة الاجتماعيَّة النَّاهضة؛ لتكون بين أيديهم مادّة تُسهم في دراسة الحالات بموضوعيَّة، بغاية نقل أصحابها من الاعتماد على أخذ المساعدة إلى الاعتماد على النَّفس المتحدِّيّة للصِّعاب وهم على ثقة أنَّ الصِّعاب لا تصمد أمام المتحديين لها صمودًا.

وفي هذا المؤلَّف قدّمنا مجموعة من المفاهيم ذات العلاقة، غير أنَّنا ميَّزنا بين كلٍّ منها، مع وضوح تام لأهميَّة كلّ مفهوم، ووضوح تام لمراميه دلالة ومعنى، مع تقديم ما يفيد لنقله من المفهوم المجرَّد إلى فعلٍ، أو سُلوكٍ، أو عملٍ.

ومن ثمَّ تعرَّفنا على كيفيَّة صنع الأمل، الذي يتم استشعاره في الزَّمن الحاضر، وهو الذي لا يتم بلوغه إلَّا في الزَّمن المستقبل. أمَّا نيل المأمول فلا يكون في الزّمن الحاضر إلَّا مجرّد أمل، ولكن عندما يأتي يوم حصاده سيكون إنتاجًا ويمكّن من إحداث النُّقلة.

أ د. عقيل حسين عقيل

طرابلس ليبيا

2023م

الأملُ

الأملُ هو ما يتوقَّعه الآمل مع توفَّر المعلومات الكافية عنه، أو وجود معطيات دالة عليه، وهو المرتقب اتيانه أو بلوغه في الزَّمن المنتظر مجيئه؛ كونه لا يكون إلَّا في الزَّمن المستقبل؛ ولذا فالآمل في التفوُّق هو ذلك المجد الذي يعمل وفقًا لأهداف محدَّدة من أجل بلوغ المأمول، أو الفوز به والتفوُّق.

ومن هنا فالأملُ حيويَّة تملأ النَّفس تطلُّعًا تجاه المأمول رغبة؛ حيث لا يأس ولا قنوط؛ وهو نتاج عزيمة الآمل وإرادته تجاه ما يمكن إنجازه وفقًا لخطة مرسومة، وإمكانات وعدّة، مع وافر التهيؤ والاستعداد والتأهّب للعمل الجاد.

فالأمل لم يكن نتاج صدفة، بل عن حسن تدبُّر وعن وعي بعد تفكّر فيما يجب، وتذكّر لما كان غير مرضٍ ولا مقنع، وتطلّع لمستقبل مأمول فيه الأفضل والأجود والأفيد والأنفع والأرفع ارتقاء.

ومن ثمّ فالأمل كونه حيويَّة دافعة تجاه المأمول، هو استنتاج معرفي بعد قراءة واعية لما يجري، وما ينبغي أن يؤخذ تجاهه وفقًا للقوّة المعدّة لمواجهته، وتجاوز ظروفه ومعطياته.

ولأنَّ الأمل قيمة رفيعة، فهو إنْ لم تبحث عنه وتسعى إليه لا يمكن أن يبحث عنك ولا يسعى إليك، وإن أردت مصاحبته فعليك بقبول التحدّي، وإلّا لا داعي للعب في ميادينه الفسيحة، فإنْ كنت ضيِّق الصّدر

وقاصر الرّؤى؛ فعليك بنفسك أوّلًا حتى تخلّصها مما ألمّ بها من همومها وتزيح من أمامها ما وضع من عوائق؛ هذا إن رغبت أن تبني لنفسك صرحًا من الأمل، وإن لم تفعل ذلك؛ فليس لك إلّا التوهّم والحلم والتمني، فتوهّم، واحلم، وتمنى ما شئت؛ إذ لا يقظة في المقابر.

ولذا فللأمل علاقات مع الزَّمن والمأمول فيه في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع؛ ولهذا وجب على الآمل أنْ يستقرأ ويستنبط ما هو ممكن بعد التفاتةٍ منه إلى الماضي بغاية أخذ العبر واستيعاب المواعظ، ثمّ يقف عند حاضره؛ لحصر ما لديه من إمكانات، وما يمكن جمعه لإدارة تروس العمل الممكّن من بلوغ المأمول رغبة.

والأمل كونه شعورًا حيويًّا مَكْمَنُ الثّقة في النَّفس المتطلّعة إلى المأمول، حتى تناله نتيجة مرضية؛ فالآمل لا يقفز على الزَّمن بقدر ما يراه ضرورة لنضج الثِّمار المستهدف جنيُها، فيعمل من أجل سلامة نضجها حتى تستوي رطبًا.

ومن ثمّ فالأمل يحتوي الزَّمن من أجل بلوغ المأمول ونيله بلا ملل، والآمل لا تضيق نفسه من الزَّمن الذي يجب أن يكون حاضرًا والمأمول لا يفارقه، بل نفسه تضيق إن لم يعمل عبر الزَّمن من أجل نيل ما يأمله.

ولأنَّ الأمل يحتوي الزَّمن وكأنّه مسافة تستوجب العبور؛ فلا يمكن لآملٍ أن يرى الزَّمن عائقًا ولا سالبًا، بل يراه من موجبًات تحقيق الأمل

ونيله، ولهذا وجب على الآملين حساب الزَّمن وإدارته وفقًا للأهداف والأغراض والغايات الكامنة من ورائها.

والأمل لا يمكن أن يكون إلّا في الزَّمن الحاضر، وفي المقابل المأمول لا يمكن أنْ يكون فيه، فهو بالنِّسبة إلى العموم لا يكون إلّا في الزَّمن المستقبل، ولكن بالنِّسبة إلى الخصوص فهو في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع، ومن هنا يمكن أن يكون المأمول في المستقبل، ويمكن أن يكون في الماضي؛ ولهذا فهم يسعون من أجل بلوغه ونيله أينما كان؛ فلو كان على سبيل المثال: أنَّ المأمول هو الجنَّة، فهل الجنَّة تقع في الزَّمن الحاضر أم أنّها في الزَّمن الماضي؟

أقول:

مع أنَّ الأمل بالنِّسبة إلى بني آدم يرتبط بالمستقبل، فإنَّه بالنِّسبة إلى آدم؛ فهو يرتبط بذلك الماضي الذي كانت فيه الأرض والسّماوات رتقًا، ولهذا؛ فالأمل بالنِّسبة إلى آدم هو العودة إلى تلك الجنَّة التي فُقدت في لحظة غفلة.

ومن هنا فالأمل مع أنَّه من حيث المفهوم واحد، فإنَّه من حيث الدّلالة ليس كذلك؛ ولذا وجب التفكير في الزَّمن وضبطه بين ماضٍ لن يعود، وبين ماضٍ يأمله آدم وبنوه الذين يعتقدون أنَّ الجنَّة حقيقة على قيد الوجود؛ فتلك الجنَّة التي خُلق فيها آدم وزوجه قبل أن تُفتق الأرض من السّماوات، ظلّت هناك في علوٍ، أمَّا الأمل فظل منقطعًا على الأرض التي

أهبط بها ومن عليها من المختلفين والمتخالفين دنيا، ومن ثمّ فلا ينبغي أن يكون التفكّر منزويًا عن الماضي والحاضر، بل هو مرتبط بهما ويمثلان له قاعدة تأسيس لكلِّ الافتراضات التي من شأنها أن تكون مسهمة وفاعلة في صناعة المستقبل المأمول.

منابعُ الأمل:

المنابع هي تلك الأصول التي لا يأتي الأمل إلّاَ منها؛ كونها مكامن القيم والمبادئ ذات المعاني والمفاهيم التي يأمل النَّاس سيادتها بينهم دلالة ومعني، وهي التي تتجسّد في الأفعال والأعمال والسُّلوكيَّات وتحدث النُّقلة إلى الأفضل والأفيد محبّةً ونفعًا، كما أنّها ترتقي بمن سادت بينهم إلى معرفة ما يَكمُن خلف المجرّد وكيفيَّة كمونه.

إنَّها نتاج الموروث الاجتماعي والإنساني المستمدّ من الأعراف والأديان ذات الفضائل الخيّرة التي تحفّز على الارتقاء وإحداث النُّقلة إلى ما يحقق الإشباع المرضي، كما أنّها ترشد إلى ما يُمكّن من تجسيد القدوة الحسنة؛ التي تُقدّر الآخرين حتى تحظى بتقديرهم؛ فمنابع الأمل أساسها القيم الحميدة والفضائل الخيرة التي تمكّن من بلوغ الغايات، وهي التي تستوعب المتغيرات دون أن تحدث انتكاسات معرفية أو سلوكية.

فالقيم عندما تنتج المبادئ الأخلاقيَّة قولًا وفعلًا وعملًا وسلوكًا تقود إلى تحقيق المأمول إرادة ورغبة، مع قبول الآخر واحترام خصوصيَّته التي بها يختلف عن الغير.

ولأنَّها القيم المرضية عن إرادة؛ فالمساس بها ليس بالأمر الهيّن، وهو أيضًا لم يكن مستحيلًا، ولهذا في دائرة المتوقّع وغير المتوقّع كل شيء ممكن. ولأنّ كلّ شيء ممكن؛ فمنابع الأمل قابلة للتقويض، متى ما تولى الأمر فاسد، أو دكتاتور أو محتل لا يُقدّر المقدَّر من قِبل النَّاس الذين يتعلق الأمر بهم، فالقيم مع أنّها نتاج الإرادة والرّغبة والمنافع المشتركة، ولكنّ التمرّد عليها بإجراءات تعسّفية ممكن؛ فمن يتمكّن من سلب إرادة النَّاس قهرا يتمكّن من تقويض القيم عبثا.

وعندما تستولي الأنا العابثة على أمر السّلطة الحاكمة، تصبح الأقوال غير الأفعال، حالها حال أحوَل العينين، الذي يلتفت إلى اتجاهٍ ما ليرى شيئًا آخر في الاتجاه الآخر، فنلاحظ في بعض الأحيان أنّ أقوال الحاكم الفاسد تبدو وكأنّها مؤيّدة لفضائل وقيمٍ خيّرة، وفي المقابل أفعاله وأعماله تقوّضها من كلّ جانب؛ فالمفسد يدّعي الإصلاح حتى يظهر نفسه وكأنّه المنقذ.

والقيم مع أنَّها منابع الأمل فإنّها تتعرّض للتقويض من قِبل المستبدّين، وهي متى ما قوّضت تبدّلت وتبدّل أصحابها؛ وعندما تستبدل القيم عن غير رغبة ولا إرادة يصبح النفاق سائدا على حساب الصّدق حتَّى تكاد لا تعرف الحقيقة مع قربها منك، وعندما يسود النفاق بين النَّاس بأسباب انعدام الثّقة، يصبح الكذب إلى جانبه سائدًا جنبًا إلى جنب مع التزوير والخيانة والغشّ وإباحة ممتلكات الدّولة.

ولأنَّ الفساد خروجٌ عمّا ترشد إليه منابع الأمل التي ارتضاها النَّاس عبر التَّاريخ رغبة وإرادة؛ فستظل المواجهة مع الفساد والفاسدين بين سرٍّ وعلانية ولكلٍّ ثمنه.

ولأنَّ منابع الأمل نتاج جمعي؛ فالمواجهة معها إن حدثت ستكون مواجهة بين خصوص وعموم، ممّا يجعل ساعة الحسم بينهما ساعة مفاجئة فيها الفساد لن يكون أملًا.

ولذا فعندما يُقصى ويُمنع المواطن من ممارسة حقوقه الوطنية يُدفع تطرّفا ليكون على رأس هرم العنف حتى وإن كان من قَبل على مستوى من مستوياته الدُّنيا، وهكذا من يستهدف الشّعب بالتكميم والتغييب والإقصاء، سيجد نفسه طرفا معاديا للشّعب ومطاردا من قِبله.

منابع الأمل تربط الحاضر بالماضي بهدف استمداد العبر والمواعظ، وتربطه بالمستقبل بغرض إحداث النُّقلة وغاية بلوغ الحلّ الذي لا تأزّم من بعده.

فمنابع الأمل قيما لم تكن مقادير كميّة، بل كيفية على الدّلالة والمعنى تجعل القدر لمن لم يكن له قدرا، فترفعه مكانة وقدوة حتى تجعل من رأسه رأس هيبة. وهذا لا يعني أنّها تعاليم تُلقّن؛ بل هي القيم القابلة لأن تتجسّد في الفعل الإنساني عملًا وسلوكا. إنّها منابع إحداث التغيير في الزَّمن الآن ليكون المستقبل زمنا حاضرًا.

فتلك القيم الحميدة التي جعلت من معانيها صفات لمتشرّبيها جعلتهم على المكانة والرّفعة؛ فمن يتشرّب قيمة العدل حتى يتّصف بها عادل، لا يختلف عمّن تجسّد الصّدق في قوله وفعله حتى أصبح الصّدق صفة لا تفارقه، أي من يتّصف بالعدل يوصف به عادلا، ومن يتّصف بالصّدق يوصف به صادقا، ولهذا فالنَّاس متى ما تخالفوا أصبحوا في حاجة لِحَكمٍ عادلٍ وأناس صادقين لا يكتمون شهاداتهم، وهذا الأمر قد لا يتحقّق ما لم تتطابق قيمة العدل مع شخصية الحَكَم أو القاضي أو من كان شاهدا.

إذن في الوقت الذي فيه منابع الأمل تزيل المخاوف، هناك ما يُخيف ومن يخيف، فالحاكم غير العادل مُخيف لأنّه لم يأخذ بقيمة العدل، وهذا ما يتخالف مع ما يأمله النَّاس؛ فالنَّاس يأملون تطبيق العدالة، ولكن عندما يكون الحاكم على غير علاقة مع قيمة العدل فلا عدالة، وهنا تكمن العلّة التي تفصل النَّاس عمّا يأملون.

أمّا الأمل؛ فهو الحيويَّة المحفّزة للاندفاع تجاه كلّ ما من شأنه أن يُمكّن من بلوغ الغايات، وهو الحيويَّة التي تصهر الرّغبة في الطُّموح مع قبول تحدّي الصّعاب.

ومع أنَّ الأمل بالنِّسبة لبني آدم يرتبط بالمستقبل، فإنّه بالنِّسبة إلى آدم؛ فهو يرتبط بذلك الماضي الذي كانت فيه الأرض والسّماوات رتقا؛ فالأمل بالنِّسبة لآدم هو العودة إلى تلك الجنَّة التي فُقدت من قِبله في لحظة غفلة.

والأمل مع أنَّه من حيث المفهوم واحد، ولكنّه من حيث الدّلالة ليس كذلك، ولذا وجب التفكير في الزَّمن وضبطه بين ماضٍ لن يعود، وبين ماضٍ يأمله آدم وبنوه الذين يعتقدون يقينًا راسخًا أنَّ الجنَّة حقيقة على قيد الوجود؛ فتلك الجنَّة التي خُلق فيها آدم وزوجه قبل أن تُفتق الأرض من السّماوات، ظلّت هناك في علوٍّ، أمّا الأمل فظل منقطعا على الأرض التي أهبط بها ومن عليها من المختلفين والمتخالفين دُنيا.

ومن ثمّ فالأمل لا يقتصر على الزَّمن المستقبل، بل الأمل يستوعب المستقبل مثلما يستوعب الماضي بالتمام، فآدم عليه السلام الذي خُلق في الجنَّة، ثمّ أهبط منها على الأرض إلى الحياة الدُّنيا بعد ارتكابه فعل الخطيئة ندم، وهو يأمل أن يعود إلى ذلك الماضي الذي فيه كلّ ما لذّ وطاب، والندم كان أكثر وضوحا في عقل آدم بعد أن أهبط به والأرض أرضا إلى الحياة الدُّنيا؛ ولهذا فالأمل بالنِّسبة إلى آدم لم يكن مرتبطًا بمستقبلٍ جديدٍ، بل مرتبط بماضٍ يأمله. وهكذا كلّ من يفقد شيئًا عظيمًا يأمل العودة إليه، فالذين يُهجّرون من منازلهم وأوطانهم لا أمل لهم أكبر من أن يعودوا آمنين لبلدانهم وأوطانهم كما كانوا من قبل، وسيعملون ما في وسعهم من أجل العودة، بل سيقبلون دفع الثّمن ولو كانت أرواحا من أرواحهم.

وعليه فالأمل يرتبط بالعمل أكثر من ارتباطه بالزَّمن؛ فالزَّمن متصل ولا فواصل فيه بالرّغم من الشّروق والغروب نتيجة حركة الأرض حول نفسها وحول الشّمس، وهذه لا تزيد عن كونها مواقيت حسابيَّة، أمَّا الزَّمن

فهو الزَّمن شيء واحد متصل، وما الماضي والحاضر والمستقبل إلا تقسيم عددي بأسباب الشّروق والغروب.

ومع أنَّ الأمل قيمة، فإنّه ليس بمادّي، فالمادي وإن كان من ورائه أمل فهو لا يُبلغ إلّا بمزيدٍ من الجهد، أمَّا الأمل؛ فهو ما يخالج نفس الإنسان تجاه الشَّيء الذي لا يبلغ إلا بجهدٍ يبذل، ومن هنا؛ فالأمل محفّز نفسي بحيويَّة الرّغبة تجاه الغايات، ولهذا فمن يفقد المكانة لن يكون له أمل سوى العودة إليها، وهكذا سيظل الصّعود للقمّة مطلبا وأملًا لمن فقده مكانة.

فالمكانة التي لا تتحقّق إلّا بالعمل لن تُبلغ ما لم يكن الأمل من ورائها يُصنع، ولأنّ الأمل في اتجاه بلوغ الغايات لا يتحقّق إلّا عملًا، فسيظل الأمل مفهوما لا معنى له ما لم ينعكس في جهود تبذل بقوّة الرّغبة والإرادة تجاه غايات تُمكّن من إشباع الحاجات المتطوّرة. ولهذا فالأمل العظيم يستوجب بذل الجهد مع مقدرة على توليد الفكرة من الفكرة حتى لا يتمّ التوقّف عند حدّ معرفة المشاهد والقصور عن معرفة المجرّد، قال تعالى: {فانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ}[1]، أنزلت هذه الآية بدلالة التمعّن فيما تنظرون إليه من عجائب، والنّظر إلى العجائب يستوجب التفكير في الكيفيَّة التي بها خُلقت العجائب: {أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى السَّمَاء كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ}[2]،

[1] العنكبوت 20.

[2] الغاشية 17-18.

أي: يا بني آدم، لا تستوقفوا عقولكم عند المشاهد، بل مدّوا نظركم إلى الكيفيَّة التي عليها وبها خلقت الأشياء؛ فالنّظر إلى الإبل والسّماء والجبال والأرض ضرورة، لكن الأعظم من ذلك النّظر إلى الكيفيَّة التي بها خُلقت الإبل، والكيفيَّة التي بها رُفعت السّماء، والكيفيَّة التي بها نصبت الجبال، وسُطحت الأرض.

هذه الآيات أنزلت بلغة التعجّب (أفلا ينظرون)، فلو نظر بنو آدم لعرفوا، ولو عرفوا لتدبُّروا، ولأنّهم لم ينظروا؛ فلن يتذكّروا ما يعظهم، ولن يتدبُّروا ما يفيد أمرهم، ولن يفكّروا فيما يجب، وهنا يكمن القصور عمّا يحقّق الأمل.

ولذلك وجب التذكّر حتى لا تتكرّر الأخطاء، ووجب التدبُّر دون غفلة عن العبر وما يوعظ، ووجب التفكّر فيما يُمكّن من معرفة الكيفيَّة التي تُمكّن من معرفة المستحيل مستحيلًا، ومعرفة المعجز معجزا، ومعرفة الممكن ممكنا.

ولذا لا ينبغي أن يكون التفكّر منزويًا عن الماضي والحاضر، بل هو مرتبط بهما ويمثلان له قاعدة تأسيس لكلِّ الافتراضات التي من شأنها أن تكون مساهمة وفاعلة في صناعة المستقبل المأمول.

ومن ثمّ يعدّ التوقّف أو الانكفاء سِمة تشير إلى وجود خلخلة وبعثرة حقيقية في التفكير، ممّا يخلق ارتباكا وفوضى معرفية لا تكون نتائجها

محمودة؛ فالتفكّر ارتقاء لا يكون إلّا واقعا ضمن دوائر متعدّدة تكون حاضنة له؛ فتمنحه كلّ ما من شأنه أن يحقّقه.

والتفكّر ارتقاء هو الذي يسير بالفكر الإنساني نحو إيجاد بدائل تكمن فيها معطيات النّهوض الذي يمنح النَّاس حياة فيها الآمال تتحقّق.

توليد الأمل:

توليد الأمل هو توليد الشَّيء من الشَّيء، فمن المفيد أن تنظر إلى أولئك الذين سبقوك أملًا وارتقاء، ومن المفيد أن تضطّلع على تجارب الآخرين، ومن المفيد أن تشترك مع الغير في توليد الآمال، ومن المفيد أن تسأل أصحاب الحكمة، ومن المفيد ألّا تستقر على روتينٍ قد تجاوزه الزَّمن، ومن المفيد أن تتطلّع لأيّ شيء مفيد.

ولأنَّ توليد الأمل هو توليد الشَّيء من الشَّيء، إذن: فلا استحالة، مع العلم أنَّ الأشياء وفرة في كلّ مكان، ولِمَ لا تصنع من الشجرة بابا؟ ولِمَ لا تصنع من القطن ملبسا؟ ولِمَ لا تفكّر فيما تفكّر فيه قبل قوله؟ ولِمَ لا تقيّم نفسك عند كلّ قصور؟ ولِمَ لا تفكّر في تطوير أساليب العمل الذي جعل منك روتين ولا تجديد؟ ولِمَ لا تتحدّى نفسك قبل أن يتحداك الغير؟ وعليك أن تعرف أنّ كلّ شيء يتجّدد ويتطوّر ويتولّد فلا تغفل أكثر ممّا غفلته. وعليك أن تنظر إلى الكون وكيف يتمدّد ويتسع ويتسارع توليدا. فقد خلق الله تعالى الكون والأرض لم تكن إلّا جزءا منه، وأنبت آدم وزوجه من الأرض نباتا (توليدا).

ولذلك فتوليد الشَّيء من الشَّيء بين نشوء وصنعة؛ فالشَّيء لا يكون إلّا خلقا، أمّا توليد الشَّيء من الشَّيء فلا يكون إلّا نشوء، وكل هذا بيد الله تعالى، أمّا الذي بين يدينا إن عملنا استطعنا أن نولّد من الشَّيء شيئًا.

ولأنّ النّشوء لا يكون إلّا من شيءٍ، كانت الأرض وكان نشوؤنا منها، ولو لم يكن اللاشيء، ما كانت الأرض شيئًا منه، ولو لم يكن الانفجار العظيم ما كان اللاشيء شيئًا، ولو لم تكن تلك الذّرة، ما كان ذلك الانفجار العظيم، ولو لم يكن الخالق ما خُلق شيء قال تعالى: {وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}[3].

ومع أنَّ الله خلق كلّ شيء وهو الخلّاق لما يشاء، متى ما يشاء، كيفما يشاء، وأينما يشاء، ولكنَّ البشر لا يعلمون كلّ ما خُلق؛ فهناك ما يعلمونه خبرا، وهناك ما يأخذونه أمرا ونهيا، وهناك ما يدركونه عقلا، وهناك ما يرونه مشاهدة؛ فالبشر كما يسلّمون يقينا بما يعلمونه؛ فهم يؤمنون يقينا غيبيا بما يجهلونه؛ فعلى سبيل المثال: المؤمنون يعلمون بالسّاعة، ولكنّهم يجهلون ساعتها، ويعلمون بالنّعيم ويجهلون نعمه، ويعلمون أنّ السّماوات والأرض كانتا رتقا، ويجهلون كيفية فتقها.

ومع أنَّ النّشوء مترتّب وجودًا على ما خلق، فإنّه لا يكون إلّا وفقًا للمشيئة، التي هي دائمًا سابقة على الشَّيء، أي: لا شيء ينشأ ويُخلق إلّا

[3] المائدة 17.

من مشيئة الخالق. ومشيئة المشيء إرادة خَلقية، خَلقت تلك الذّرة، وفجّرتها خلقا آخر، ولذلك؛ فَخَلق الشَّيء من الشَّيء وجَعلهِ على الهيئة والصّفة يعد نشوءا من مشيئة الخالق.

ولذلك فالعقل المتأمّل في الوجود الخلقي يدرك إنّ وراء كلّ شيء مشيء له؛ فلو لم يشئه ما كان شيئًا، وبما أنّه أصبح شيئًا؛ فهو لم يكن إلّا وفق مشيئة، وهذه تستوجب: مقدرة خلقية، وخالق يهيئ المخلوق للخلق قبل أن يخلقه، ومن ثمّ؛ فلا شيء إلّا من مشيء: {إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شيئًا}[4].

ولأنَّ خلق الشَّيء من الشَّيء يعد نشوءا، إذن؛ فلا نشوء إلّا والحياة تملؤه؛ فالأرض لو لم تكن على الحياة، ما كان ترابها صالحا لخلق الإنسان، وإنباته مثل النبات نباتا. إنّه النّبات الذي من بعده لا تخلق الكائنات من الكائنات إلّا تزاوجًا.

ولذلك كان الخَلق أوَّلًا، ثمّ جاء النّشوء مترتّب عليه، ومن بعده جاء خلق الأزواج من طين، ثمّ جاء خلق التزاوج من نطفة؛ فكان التكاثر على التسيير فيما لا شأن للإنسان به، وكان التخيير وفقًا للإرادة والرّغبة التي تمتدّ بين شهوة عاطفية، وبين خُلقٍ وحُسن تدبُّر وضبط ضمير.

ولأنَّ الكون لا يخرج عن كونه شيئًا؛ فالشَّيء لا يمكن أن يكون إلّا مخلوقا. ولأنّه المخلوق؛ فلا يمكن أن يكون خالقا؛ فالخالق (لا يكون شيئًا،

[4] الأنعام 80.

ولا يكون لا شيئًا، ولا يكون شيئًا آخر). بل هو الخالق، الذي يَخلق ولا يُخلق.

وعليه فإنَّ الأشياء المخلوقة لابدّ وأن تتولّد من بعضها البعض، وتتناسل من بعضها البعض بقوّة خارجة عنها، انطلاقا من أنّ (المخلوق لا يمكن أن يخلق نفسه) ومن ثم؛ فإنَّ تتبّع استمداد الشَّيء من الشَّيء المستمدّ منه، أو المخلوق من المخلوق منه يعد الطريق العلمي الممكّن من معرفة الخالق عن بيّنة وعلم تامّ، وهو الممكن من توليد الشَّيء من الشَّيء، فَلِمَ لا ننظر ونستطلع ونستقرأ ونتطلّع ثمّ نعمل؟

لقد بيّن الله لنا الشَّيء خلقا، ثمّ نشوءا (خلق من خلق) أي: خلق الشَّيء من الشَّيء؛ وذلك ليبيّن لنا آياته إعجازًا، ثمّ ليفسح أمامنا إمكانيَّة توليد الشَّيء من الشَّيء أملًا؛ فعمل أصحاب العقول ما عملوا توليدا (تكاثرا) دون أن يخلقوا شيئًا؛ لأنّ الخلق استحالة بالنِّسبة إلينا؛ لأنّه فعل الخالق: {إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شيئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ}[5]، أمّا توليد الشَّيء من الشَّيء فهو الممكن، فتولّد الفكرة من الفكرة أملًا يصنع مستقبلًا قبل أن يأتي إلينا.

ولأنَّ الخالق جعل الجنَّة مأمولة للمؤمنين، فكان عليهم العمل من أجل بلوغها؛ مصداقا لقوله تعالى: {أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ثُلَّةٌ مِنَ الأَوَّلِينَ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ

[5] يس 82.

يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ وَحُورٌ عِينٌ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}[6]، أي: لا جنَّة بلا عمل، وهذا يعني لا عمل بلا أمل؛ فمن كان له أملًا، عمل عليه، ومن لم يولّد أمل في نفسه وعقله فلا مأمول له؛ ممّا يجعل وجوده عبئا على نفسه وعلى الغير.

فالله تعالى جعل لنا مأمولًا عظيمًا (الجنَّة)، ويودّ أن تكون لنا فيه مكانة، فقال: {وَقُلِ اعملوا}[7]، أي: اعملوا حتى تولّد لكم آمال تمكّنكم من بلوغ الجنَّة والفوز بها؛ فهو كمن يقول: إنّها تنتظركم فلا تتأخروا عنها؛ فاعملوا كلّ ما من شأنه أن يمكّنكم من الرّشد والغنا والمتعة والرفاهية والسّلام والأمن، فهذه إن كانت في مرضاة الله تقرّبكم من أبواب الجنَّة، أي: وكأنّه يقول: تجنّبوا ما يؤدّي بكم إلى الألم والفقر؛ فالألم لا مكان له في الجنَّة، والفقر لا مكان له في الجنَّة، ومن يعيشهما إرادة فهو كمن يتمنّع عن الاقتراب من أبواب الجنَّة؛ أي: لِمَ لا نكون أغنياء؟ ولماذا البعض غني والبعض فقير؟

أقول:

العمل وحده هو الفارق.

---

[6] الواقعة 11 . 24.

[7] التوبة 105.

ولكن أيّ عمل؟

العمل المرضي لله تعالى، وهو المرضي للنَّفس والآخر في وقت واحد. ولهذا العمل غير المرضي قد يشبع حاجة، ولكنّه لا يمكّن من نيل المأمول؛ فهو قد يجعلك متباهيًا ومتكبّرًا ومفسدًا وهذه الصِّفات لا تؤدّي بأصحابها إلى الفوز بالمأمول.

ولأنَّ الله يريدنا أغنياء بنعيمه في الدَّارين؛ فجعل لنا الخيرات في الدَّارين مع الفارق في المقارنة، وللفوز بالعيش النعيم قال (اعملوا) وبعث رسله يحثون على العمل مصداقا لقوله تعالى: {وَيَا قَوْمِ اعملوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ}[8]. أي: اعملوا ما استطعتم حتى تبلغوا الغناء رشدا (غناء النَّفس والعقل والقلب والمال) بمعنى: اعملوا الخيرات الحسان بلا تردّد، وولّدوا ممّا تعملون آمالا تطوى بها المسافة بينكم وبين المأمول العظيم الذي ينتظركم. أي: يا فقراء النَّفس ولّدوا الغناء في نفوسكم كلمة طيبة، وولّدوا الغناء في عقولكم فكرة منتجة، وولّدوا الغناء في قلوبكم محبّة لله وعبيده، وولّدوا الغناء في أعمالكم وجهودكم تحدّ للفقر. ولا استغراب؛ فكل شيء ممكن في دائرة المتوقّع وغير المتوقّع؛ فلا تتأخروا إن أردتم بلوغ الجنَّة.

وعليكم جميعًا أن تفكّروا حتى تستطيعوا توليد الفكرة من الفكرة وتوليد الأمل من الأمل، وعليكم بإدارة الزَّمن، وعليكم بامتلاك الإرادة التي

[8] هود 93.

لا تكون إلّا بقرار منكم؛ فاتخذوه قرارا، وفي كلّ قرار عليكم بتقوى الله. فإن فعلتم ذلك لا شكّ أن الجنَّة ستقترب منكم أكثر ممّا تقتربون إليها.

ومع ذلك فكّروا؛ فالتفكير المتّزن يخرج من التَّأزُّمات ويخلّص من الآلام والمواجع. ومنه تولد الفكرة فكرة أعظم؛ فهي وإن كانت فكرة مجرّدة لكنّها قد تتوّلد من الشَّيء المشاهد أو الملاحظ، كما تتولّد وتستمدّ القوانين من المعطيات الكونيَّة والطبيعيَّة، ولأنَّ الفكرة مولود العقل؛ فهي متى ما وُلدت فيه، ولّدت منه رؤية لشيء قابل للتحقّق بين أيدي النَّاس، وهي لا تكون كذلك إلّا بتلاقح الآراء (سالبها وموجبها)، وكلّما كثرت المستفزّات الخَلقيّة والخُلقيّة أثارت العقل انتباها لما يجب؛ فتدفعه حيويَّة الحيرة تجاه التخلّص من العَتَمة التي تَحول بين المحيّر والمأمول.

فالفكرة لا تلد في الخارج، بل الخارج يستفّز العقل ويُلفته إلى ما يُمكِن أن يُستكشف؛ فيبدأ العقل إعماله تجاه المستفزّ والحيرة تلازمه حتى يبلغه، وحينها لا تجد الحيرة مكانا لها عند المستكشف معرفة، أي: لا يمكن أن تبقى الحيرة مع التجلّي المعرفي، بل تبقى مع بقاء اللبس والغموض، وفي المقابل تزول بزوالهما.

والفكرة تعد صوغًا عقليًّا لمولودٍ لم يولد بعد؛ وهو بعد الولادة لن يكون فكرة، بل شيئًا غيرها، ولكنّه المؤسّس عليها؛ فلو لم تكن ما كان، ولهذا؛ فالفكرة هي استنباط الشَّيء من الشَّيء، بعد تهيّئه على الشّكل أو الصُّورة أو الرّسالة والموضوع، ممّا يجعل المستنبط في صورة موضوع عام،

حيث لا تفصيل؛ فالتفصيل لا يكون إلّا للموضوع الذي تمدّدت الفكرة فيه بداية ونهاية، والفكرة هي الفكرة، والموضوع ارتقاء لا يكون إلّا المفسّر للفكرة إيضاحًا.

فبعد أن تطوّر الإنسان من حياة الفطرة والتقليد إلى حياة الإنباء والفكرة، أصبح يُبدع استكشافا، وليس خَلقا؛ ذلك لأنَّ المخلوق لا يَخلق، ولكنّه في دائرة الممكن يكتشف المخلوقات، ثمّ يكتشف منها أسرارا كانت مجهولة؛ فيكتشفها بحثًا، وتأملًا، واستنباطًا، واستقراءً، ثمّ يوظّفها أملًا بما يعود عليه بالمنفعة، وهكذا هي الحياة والإنسان فيها يتطوّر بالفكرة، ومع ذلك لم يكن التفكير كلّه مؤسّسًا على استنباط الفكرة ارتقاء، بل هناك من الفكرة ما يؤدّي إلى السُفليَّة والانحدار.

ومع أنَّ الفكرة تلد في العقل البشري بداية بمستفزّات خارجية، ولكنّها بعد أن تلد منه إنتاجًا، تصبح وفقًا للقدرة قابلة للانتقال من عقلٍ إلى عقلٍ مع وافر التأثير، سواء أكان تأثيرا موجبًا، أم سالبًا، وعندما تكون الفكرة بنائية، تدفع المتلقِّين لها إلى الارتقاء، ولكن إن كانت هدّامة؛ فستدفع بمتلقيها إلى ارتكاب الأعمال الدُّونية. ومع ذلك؛ فالعيب لا يلاحق الفكرة المجرّدة، بل العيب يلاحق من كان من ورائها (من أوجدها)؛ الذي فكّر فيما يضرّ في الوقت الذي ينبغي أن يفكّر فيه فيما يفيد وينفع، وهنا تكمن العلّة، أي: تكمن العلّة في أصحاب الفكرة الهدّامة سواء الذين أنتجوها، أم أولئك الذين سوّقوا لها ووظّفوها.

وعليه:

ينبغي ألّا ننظر للمستقبل وكأنّه الزَّمن المجرّد، بل ينبغي أن ننظر إليه مأمولًا فيه الخلاص من كلّ همٍّ وغمٍّ، ومن كلّ حاجة وفاقة، ومن كلّ مرض وداء، ومن كلّ ظلم وعدوان، ومن كلّ ضعف ووهن، أي: فإن نظرنا إليه مجرّد زمن سنكون في خانة الكسالى المنتظرين، وإن نظرنا إليه مأمولًا فليس لنا إلّا العمل من أجل بلوغه ونيله أو الفوز به.

ولسائل أن يسأل:

ممّا يتولّد الأمل؟

. من التذكّر الذي يلفت العقل إلى قراءة التَّاريخ وأخذ العبر والمواعظ منه.

. التأمّل في المشاهد حتى معرفة المجرّد الذي من ورائه.

. التدبُّر الذي لا يتيسّر إلّا بعد استقراء واستطلاع للواقع كما هو بهدف تغييره إلى ما ينبغي أن يكون عليه.

. التفكير فيما يجب بلا عواطف مع القبول بدفع الثمن من أجل الأفضل المأمول.

وعليه: لم يكن الأمل استقراء المستقبل، بل الأمل: العمل من أجل بلوغ المستقبل، أي إنّ أصحاب الآمال العريضة لا ينظرون للمستقبل زمنا مجرّدا، بل ينظرونه الحياة المأمولة، التي فيها التيسير مخلّصا من كلّ تعسير؛

ولهذا فهم يسابقون الزَّمن عملًا منتجا ومبدعا. ومن ثمّ فالآملون ليس لهم وقت للانتظار، وهذا الأمر أخرجهم من خانة المستهلكين إلى خانة المنتجين، ومن خانة الضعفاء إلى خانة الأقوياء، ومن خانة الفقراء إلى خانة الأغنياء، ومن خانة المستسلمين إلى خانة المتحدّين.

فالأمل كونه من إنتاج العقل، لا يستمدّ إلّا من واقع في حاجة لأنْ يُطوّر أو يغيّر؛ لأنَّ معظم الآمال هي نتاج استشعار معضلة تستوجب حلًّا، ومتى ما بلغ الإنسان حلًّا اكتشف معضلة أخرى تلفت عقله وتستثيره تفكيرا بغاية بلوغ المأمول حلًّا؛ فيفكّر تدبُّرا حتى يقتنص لها حلًّا من خلال بحث يتّضح فيه أثر المتغيّرات المستقلّة والمتداخلة في كلّ معضلة، وكلّما ازداد عدد المشاكل والمعضلات الحياتية يفترض أن تتولّد آمال منقذة.

ولأنَّ الإنسان في دائرة الممكن خُلق مخيّرًا؛ فينبغي أنْ يفكّر فيما يشاء كيفما يشاء والأمل لا يفارقه، فيقبل ويرفض، ويخطئ ويصيب؛ وبإمكانه أن يتطوّر ارتقاء، أو أن يتخلّف وينحدر دونية. ولأنّه مخيّر؛ فله من المشيئة في دائرة الممكن ما له، يأمل أو لا يأمل، يؤمن ويكفر أو يشرك كما يشاء، ذلك لأنَّ كلّ شيء في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع هو بين يديه إرادة.

الأملُ ليس الرَّجاء:

الرَّجاء مطلب وتقليل الشَّأن فيه، أمَّا الأمل فلا تقيل شأن فيه؛ ذلك لأنَّ الأمل يصنع مكانة للآملين؛ ولهذا فعلاقته بالمستقبل علاقة اتصال لا انقطاع، أمّا الرّجاء فيه من التوسّل ما فيه، وأصحابه يميلون إلى التَّبعيَّة ولا

يملون إلى الاعتماد على الأنا وحسن العلاقة النديّة مع الغير، وهذا ما يسنّه الآملين لأنفسهم.

فالأمل لم يكن ذلك المنتظر الذي يرجوه أهل الرّجاء توسّلا، بل هو التطلّع للمأمول رغبة وإرادة؛ فالآمل لا حاجة ولا وقت له للتوسّل، وقته استثمار وحُسن إدارة مع الحرص على تبوء مقاعد رفعة الشأن. أمّا الذي جعل نفسه جالسا على مقاعد الرّجاء فليس له إلّا التوسّل والقبول بالقليل.

الأمل لم يكن ذلك المستقبل الذي ينتظره أهل الرّجاء كما ينتظروا الشروق والغروب وبداية الشهر ونهايته وكأنّه مرتب ومعاش، بل المستقبل عند أهل الأمل يستوجب الإقدام عليه عملًا وإنتاجًا. ومن يختار الجلوس على مقاعد أهل الرّجاء فليس له إلّا الاتكال على الغير، ومن يتبوأ مناصب الأمل لا وقت له للالتفات.

ومن ثمّ فأهل الرّجاء وإن تعددوا فهم فرادى، أمّا أهل الأمل فهم على مستويات منها:

. المستوى الفردي: عندما يكون المأمول متعلّقا بشخص واحد.

. المستوى الجماعي: عندما يكون المأمول متعلّقا بأكثر من شخص واحد.

. المستوى الشعبي: عندما يكون المأمول عاما؛ فالشعوب تهزم عندما لا يكون للشعب أمل، وفي المقابل تنتصر الشعوب بآمالها.

الأمل ليس الأمنية:

الأمنية تكمن في ظلمة الصّدر ولا نور أمامها؛ فتبقى على ما هي عليه ما بقي الإنسان على قيد الحياة؛ ولاذ فالأمنية فكرة منكمشة في الصدور لا تشاهد ولا تلاحظ ولا تدرك إلّا من قبل صاحبها الذي تثيره الشَّهوة والمطلب، أمّا الأمل: فهو الفكرة الممتدّة تخطيطًا وتدبُّرًا وعملًا مع وضوح الأهداف والغاية المأمولة.

ولهذا فالمتمني يتمنى ما يشاء، ولكن قد يظل في أمنياته حتى الموت، فالجاهل الذي قضى من العمر عتيًّا يتمنى لو كان متعلِّمًا، ولكن العجلة قد لا تساعده على الإدارة إلى الخلف؛ فيموت في أمنيته جاهلًا؛ ذلك لأنَّ أمنيته قد ارتبطت بالماضي (يا ليتني كنت متعلِّمًا) وهنا لا إمكانيَّة لإدارة العجلة إلى الورى. وفي المقابل هناك من في صباه: يتمنى التعليم، ولكنّه لا يقدم عليه؛ فيموت هو الآخر في أمنيته جاهلًا؛ ولهذا فالأماني تصاحب المتمنين حتى الموت.

أمَّا من أراد الحياة نزهة وتقدّم ورفعة؛ فعليه بتجاوز الأمنيات بالأعمال أملًا.

ومن هنا ترتبط الأمنيات بالرّغبة وما يشبع الشَّهوة مع اللامبالاة، ومع ذلك فقد تكون الأمنية خيّرة (صفاء نيّة) وقد تكون (تشفٍّ في الغير) وذلك عندما تكون النَّفس حاقدة ومكيدة وماكرة؛ وفي كلتا الحالتين تظل الأمنية ملازمة للمتمني حتى يتخلّص منها عملًا يأمله، أو أنّها ستكون

المودِّعة له موتا، دون أن يترك أصحابها من خلفهم عملًا يذكرون به؛ ولذا لا يمكن أن يكون الجهل والمرض أملًا، ولا أمنية، وبالتالي: لا مستقبل للجهل وإن تمنى من تمنى حسدا أن يكون الجهل متوّجا بين النَّاس؛ فالعالم كلّه يتنافس علما وتقنية وعملًا مربحا؛ وهذه ميادين الأمل التي لا مجال فيها لمنافسة المتمنين.

إذن: الأمنية تخمين في دائرة الممكن بلا جهد منتج، وهذا ما يرفضه الآمل ولا يقبل أن يكون عليه؛ فالأمل بالنِّسبة إلى الآمل رغبة مرضية نافعة مع جهد متجاوز للأمنيات؛ من أجل نيل المكانة المأمولة قمّة.

إذن: الأمل يُصنع، والأمنية لا تُصنع؛ ذلك لأنَّ الأمل يرتبط بالمستقبل المأمول فيتحقّق، أمّا الأمنية فلا علاقة لها بالمحيط الخارجي؛ فهي لا تزيد عن أنّها مضمور مختنق في الحيز الصّدري. فعلى سبيل المثال: إذا كان أمل الإنسان الحصول على فرصة عمل يحصل عليه، وإذا كان أمله تعليمًا تعلّم، وحتى إن أراد بلوغ الجنَّة بلغها، ولكن كلّ ذلك لا يتحقّق إلّا عملٍ جادٍ؛ ولهذا المتسولون بلا أمل، والجالسون على الأرصفة بطالة بلا أمل، وهكذا الفاشلون بلا أمل، وفي المقابل المتقدّمون والمتطوّرون والعلماء لهم من الآمال ما لهم. فهم متأصّلون في آمالهم ومتابعون لكلِّ ما يمكن أن ييسر لهم طي المسافات ومسابقة الزَّمن من أجل نيل ما يأملون.

ولهذا؛ فالأمل لم يكن أمنية، ولا رغبة وإن حفّزته الرّغبة عملًا، ولم يكن الغاية في ذاتها، بل إنَّه أعظم أهميَّة؛ فهو لا يكون إلّا عن تدبُّر لغاية مأمولة قابلة لأن تنال، ولكن بعد توافر:

. العزيمة؛ بقصدٍ يمكّن من نيل المأمول.

. الرّغبة؛ كونها حيويَّة الامتداد تجاه المأمول.

. الإرادة؛ بلا ضغوط خارجية حيث لا إكراه.

. المقدرة: حيث لا عجز ولا قصور.

. التهيؤ؛ حيث الوثوق في المطلب والرّغبة والمقدرة دون يأس.

. الاستعداد نفسيًّا وبدنيًّا مع وفرة الإمكانات أو شيء منها؛ لإظهار المقدرة.

. التأهّب؛ حيث الفطنة والانتباه لما يجب في وقته بلا تأخير.

. الفعل؛ حيث القناعة التَّامَّة بالعمل الممارس أملًا.

. تحدّي الصّعاب؛ حيث لا قبول باليأس والاستسلام ولا كلل من العمل.

الإصرار؛ حيث التيقّن من بلوغ المأمول ونيله.

إذن: فمن يأمل شيئًا ويعمل من أجله، يناله أو يفوز به شيئًا ملموسا، أمّا الذين لا أمل لهم سينتهون ولا شيء؛ ولهذا فمن يريد أن يكون له شأن فعليه أن يصنع لنفسه أملًا.

وعليه فالفرق بَيّنُ بين الأمل والأمنية؛ فالأمل يستوجب عملًا، وتخطيطا، ويشبع حاجة، ويحدث النُّقلة، ويؤدّي إلى بلوغ المأمول.

أمّا الأمنية؛ فهي كامنة لا تولد مشاهدا، ولا تتطلّب عملًا، وحتى اليائسين لهم من الأمنيات ما لهم. ومع ذلك تأخذ الأمنية صورتين:

الصُّورة الأوَّلى، خيّرة: فيها محبّة النَّاس؛ إذ لا كره ولا كيد ولا مكر بالغير، وقد تأخذ الأمنية الخيرة أيضًا صفة الدّعاء الذي هو عبادة، ومع ذلك أمنية في الصّدر (حيث لا عمل عليها) كشخص في قبوٍ ليس له إلّا القليل من الأكسجين.

الصُّورة الثَّانية، تشفٍّ: وهذه تعكس واقع الشَّخصيَّة الأنانية التي لا يتّسع صدرها إلّا لأناتها، ومن ثم تضيق أمام الآخرين ولو كانوا ذوي رحم.

الأملُ ليس الحُلم:

الحُلمُ لا يزيد عن كونه تهيؤات تبدو للحالم وكأنّها حقائق في الوقت الذي هي ليست كذلك، وهي ترتبط بالخيال البعيد عن الواقع والممكن؛ ولهذا أصحابها يعيشون الوهم نزهة في الخيال؛ فهم يكتفون بالتصوّرات الفاقدة للحُجَّة والبرهان والدليل.

أمّا الأمل لا يضيع الوقت في مساعيه، فهو يقود الآملين بوافر العزيمة إلى مأمول مرغوب، ولكن في دائرة الممكن لا يبلغ إلّا ببذل الجهد، ووفق أهداف قابلة للإنجاز ومأمولًات لا تلد إلّا في المستقبل المأمول.

ومن ثم فالحلم لا يزيد عن كونه حلم، ومن حقّ الواهمين أن يحلموا وفقًا لتهيّوآتهم (مقابر الوقت) فما يحلم به الحالمون وما يتمناه المتمنون لا يمكن أن يأتي إليهم. وفي المقابل ما يأمله الآملون يسعون إليه مثابرة حتى يلد بين أيديهم مأمول من بعد مأمول. أي: ما تحلم به النَّفس وتتمناه لا يأتي إليها إلّا حلما وأمنية، ولكن ما تأمله تسعى إليه حتى تبلغه ومن ثم تناه مأمولًا.

الحالمون يتكلّمون أكثر مما يعملون، وفي المقابل الآملون ليس لديهم وقت للكلِّام إلا فيما يجب. الحالمون اتكاليون يعيشون يومهم حلما ليس إلّا، والآملون يقضون الوقت عملًا منتجا.

ولأنَّ لكلِّ جهد مقابل حتى ولو كان حلما، فالمقابل للحالمين وهما تامّا، أمّا المقابل لجهد الآملين مقدّر بما يأملونه رفعة من بعدها رفعة.

ولأنَّ لكلِّ جهد مقابل يتقاضاه، فالمقابل يمكن أن يكون عاجلًا ويمكن أن يكون آجلًا، فالعاجل منه وقتي ولا تأخير، فالبعض لا يرى شيئًا غيره، والبعض الآخر أمله لا ينقطع ولا ينفصل، ولهذا فهو يعمل وفقًا لما يشبع حاجاته الآنية، ويعمل وفقًا لما يشبع حاجاته الرّوحية؛ فالإنسان

بإمكانه أن يأكل من عرق جبينه ومما يسهم به إنتاجًا علميًّا ومعرفيًّا، وفي الوقت ذاته يعمل من أجل بلوغ المأمول العظيم (الجنَّة).

ولهذا ينطبق على البعض الذي لم ير إلّا ما يأمله عملًا دنيويًّا قول الله تعالى: {ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ}[9]؛ فالذي تلهه الدُّنيا وفقًا لأمله المقتصر عليها يمكن له أن يعيش اللهو والمتعة الدنيويّة، ولكن إشارات الاستغراب والتعجّب ستكتب على وجهه وظهره، ولن تمحى بأيّة وسيلة ولو كانت نارا إلّا نار جهنم، فالحمد لله العدل ربّ العالمين.

وتبيّن هذه الآية الكريمة صورة استهزائيَّة بمن يلهو في أمله عن عبادة خالقه وطاعته أمرا ونهيا وتجنّبا، ولأنّها تحمل في مضمونها صورة استهزائيَّة؛ فهي تحمل تهديدا لمن يلهه الأمل الدنيوي عن الأمل الأخروي الذي لا يتطلّب إلّا عملًا ميسّرا دون أن يكون على حساب العمل والجهد المبذول من أجل نيل المأمول القريب.

الأمل ليس التفاؤل:

التفاؤل لا يمكن وضعه في مواجهة مع شيء إلّا مع التشاؤم، ومن هذه الزَّاوية ينظر إليه موجبًا، ولكن بمقارنته مع الأمل نعرف أنّ بينهما فارق كبير؛ فالتفاؤل كونه شعورًا يتجاوز بأصحابه الرّكون إلى منازل

[9] الحجر 3.

الإحباط والتشاؤم فهو موجب، ولكنّ أصحابه لا يقدمون على العمل إلّا في دائرة الممكن المتوقّع الموجب، أمّا غير المتوقّع فلا مكان فيه للمتفائلين.

فالمتفائل يتفاءل خيرا ويقف عنده؛ إذ لا إمكانيَّة له أن يتجاوز تفاؤله عملًا من أجل بلوغ ما يمكّن من نيل الخير في ذاته. وبمقارنة مع الآمل؛ فالآمل لا يقبل الانتظار؛ فهو متى ما اكتشف خيرا سعى إليه عملًا.

ولأنَّ التفاؤل تفكير لا يتجاوز دائرة المتوقّع الموجب، فهو قاصر إذا ما قورن بالأمل الذي يتجاوزها إلى دائرة غير المتوقّع حتى بلوغ الخوارق.

المتفائل لا يرى إلّا موجبًا، وكأنّ الحياة لا سالب فيها، أو وكأن القضيَّة التي ينظر إليها غير محتوية لسالب ولو كان ضمنيا. أمّا الآمل مع أنَّه ذا شخصية متحدّيه، لكنّه حذر، لا يقدم على شيء إلّا عن دراية، ومع ذلك فالكمال لله وحده.

والمتفائل كثيرًا ما يجد نفسه في حالة من الاستغراب والتعجّب؛ لأنَّه رسم الحياة وكأنَّها تفاؤل، في الوقت الذي لم تكن فيه كذلك، ومن ثمّ بين الحينة والحينة يقع في المحذور الذي قلّما يقع فيه الآمل.

إذن: الإنسان لا ينبغي أن يجعل تفكيره على التفاؤل دائمًا، أي: لا ينبغي أن يحرم نفسه منه، والأمر الحاسم في ذلك (الموضوعيَّة) التي تتطلّب معلومات وافرة من مصادر صادقة، وتحليلًا وفقًا لمتغيراتها المتداخلة

والمستقلة، دون أن يكون للعاطفة رأي فيها، وفي المقابل لا ينبغي أن يكون الإنسان متشائما؛ فالتشاؤم مهنة اليائسين والقانطين، وهاتين القيمتين السالبتين لا يمكن أن يكونا مفردتين في قواميس الآملين.

وعليه:

فالأمل لا يكون نتاجا إلّا عن تدبُّر حسن، والتفاؤل في كثير من الأحيان يلتصق بالعاطفة التي فيها ينصب الفخ وفي كلّ المسارب؛ ولهذا فمفاتيح التفاؤل في معظمها تصديق موجب، وهنا تكمن العلّة. أمّا مفاتيح الأمل وعي بما هو آتٍ قبل إتيانه عن بيّنة. أي: إنّ الأمل انفتاح على مأمول رصدت له الإمكانات وحشّدت له القوّة الممكنة مع أخذ الحيطة والحذر. وفي المقابل التفاؤل انفتاح على المتفائل به ولا حيطة ولا حذر.

الأملُ ليس الغاية:

الغاية: هي ذلك الشَّيء البعيد الممكّن من نيل المأمول، وهي تُبلغ عملًا وجهدا يبذل في سبيل الإنتاج وقبول التحدّي وتجاوز الصّعاب بعد مغالبتها بأهداف تنجز وأغراض تتحقّق.

والغاية مع أنَّها تُبلغ لكنّها لا تدرك إلّا من قِبل صاحبها الذي يأمل بلوغها؛ فهي لم تكن هدف مشاهد، بل هي ذلك المجرّد الذي يدرك ولا يشاهد، وهنا يتماثل مفهومها مع مفهوم الأمل الذي هو الآخر يدرك ولا يشاهد.

والغاية لم تكن هي المأمولة، بل هي ما يمكّن من بلوغ المأمول، أي: إنَّ المأمول هو ذلك الشَّيء المراد نيله أو الفوز به، أمّا الغاية فهي الكامنة في العقول والصدور، والتي في الغالب لا يعلن عنها حتى نيل المأمول الذي كان في الأنفس مجرّد غاية وأمل.

وعلينا أنْ نميّز بين الأمل والغاية: فالأمل حيويَّة لا يتوقف نشاطا عند أعتاب المأمول كما هو حال الغاية، بل الأمل سيظل أملًا حتى نيل المأمول تامّا. أي: الغاية تمكّن أصحابها بلوغ المأمول، ولكنّها لا تتمدد لنيله؛ مع أنّها تقف عند أعتابه؛ فعلى سبيل المثال: لو كنت أميّا ورغبت التعلّم؛ فهل التعلّم غاية في ذاته أم هناك شيء آخر يكمن ورائه؟ فإن كان لك شيء من ورائه؛ فلا يكون شيئًا إلّا أملًا في مأمول، كتحسين المستوى المادّي، والارتقاء في مجالات الوظيفة، أو نيل مراكز متقدّمة في إدارة الشؤون الاقتصاديَّة أو السِّياسيَّة أو الثَّقافيَّة وطنيًّا ودوليًّا، وكذلك إنْ كانت غايتك التعليم في ذاته؛ فالتعليم في ذاته لا يكون إلّا فشلًا، أي: الغاية تمكّنك من الوصول إلى المدرسة، ولكنّ لا علاقة لها بالنجاح؛ فالنجاح مأمول لا يتحقق إلّا أملًا.

فالغايات والآمال لا تكون كالأهداف التي تحدّد بوضوح، بل هي في عقل وضمير الضامر والآمل، الذي وحده يعرف ماذا يريد غاية؟ وماذا يريد أملًا؟

فالباحث العلمي على سبيل المثال: لابدّ له أن يحدّد أهداف بحثه أوّل بأوّل، حتى يتمّ اعتمادها من قِبل الأستاذ المشرف والتصديق عليها من لجنة القبول، أمّا أغراض وغايات وآمال الباحث فلا يسأل عنها؛ فهي تخصّه وحده، ولا تكون إلّا كامنة.

ولتبيان ذلك وجب التمييز بين الغرض والغاية والأمل؛ فالغرض اشتهاء متأرجح بين الإقدام والاستمرار والتوقّف أو الانسحاب ممّا يجعل الغارِض غير قادرٍ على الصّمود.

والغاية حيويَّة ذهنيَّة أو قلبيَّة تحفّز على العمل وتمكّن من بلوغ المأمول ولكنّها لا تمكّن من نيله.

أمّا الأمل: فهو الحيويَّة المثلى التي تمتلئ رغبة وحرصا على نيل المأمول تماما.

وللتوضيح أكثر أضرب المثال التالي: شخص له هدف التخرج من الجامعة، دخل الجامعة حتى تخرّج، إلى هنا قد أنجز هدفه. غرضه أن يتحصّل على عمل؛ فتحصّل عليه؛ فحقّق غرضه. غايته أن يحسّن مستوى دخله؛ فتحسّن. أمله أن يصبح صاحب رأس مال فأصبح.

كلّ الذي سبق ذكره لا يخرج عن دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع، أمّا الخارج عن الدّائرة فسرّه علم غيب، لا يعلمه إلّا العليم المطلق الذي يعلم ما في الدّائرة وما في خارجها؛ ولهذا فالإنسان لا يمكنه معرفة سرّ

التمدّد الكوني المتجاوزة لدائرة الممكن، ولكنّه يعلم أنّه يتمدّد: {وَالسَّمَاء بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ}[10].

وعليه فالهدف والغرض والغاية والأمل لا مكان لها إلّا في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع، أمّا خارج الدائرة فهي أسرار لا يعلمها إلّا الله تعالى.

ولذا يفهم من الآية السّابقة: أنَّ ما اكتشفه علماء الفيزياء من تمدّد كوني، لا مفاجئة فيه لمن يعلم أنّ صفة الخالق هي الخلق بلا انقطاع؛ فهو الذي خلق الكون (السّماء والأرض)، وهو الذي خلق الأكوان (السّماوات والأراضين)، وهو الذي خلق التمدّد الكوني بلا انقطاع (وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ) وهو الذي بيده نهاية الكون: {كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ}[11] وهو الخلّاق الذي خلقه لن يتوقّف، بل يزداد سرعة واتساعا.

فعلماء الفلك والفيزياء وكذلك المؤمنون بالرّغم من خلافهم على خَلقِ الكون، لكنّهم يتّفقون على أنّه لم يعد بعد بلوغ الغايات إلّا النّهاية التي لا يعلم ساعتها إلّا الله جلّ جلاله.

ومن ثمّ فالغاية لم تكن النّهاية كما يعتقد البعض؛ ذلك لأنّ الغاية من ورائها مأمول، أمّا النّهاية فمن ورائها العدم، أي: إنّ الغاية تُبلغ ليكون من بعدها المأمول بين اليدين قابل للتعامل معه حقيقة في ذاته وليس غاية؛ فالغاية دائمًا تكمن في الصدور والعقول، وهي تتطلّب حُسن تدبُّر حتى

---

[10] الذاريات 47.

[11] لأنبياء 104.

تُبلغ، ومع ذلك لم يكن بلوغها في ذاته هو الغاية، بل الغاية تُمكِّن من بلوغ الشَّيء؛ ليكون من بعد بلوغه قابل لنيله أو قابل للنيل منه أو الفوز به بعد أن كان مجرّد أمل.

والغاية هي الأخرى قابلة للتجاوز، أي قابلة لتجاوزها بما هو مأمول، ولأنّ الغاية تُمكّن من بلوغ المأمول، فهي لم تكن المأمولة، ولكن كيف ينال المأمول؟ أو كيف ينال شيء منه؟، أو كيف يمكن أن يتمّ الغوص في أغواره؟ هنا يصبح الأمر حسب الجهد والأسلوب والمقدرة، وهو أيضًا بعد أن يتمّ بلوغه غاية قابلة لأن تتجسّد في الشَّيء المشبع للحاجة أو الملبّي للرّغبة أو المقصد أو الطلب.

فالغاية ليست هي الشَّيء كما يظن البعض حتى يقال عنها (الغاية هي ذلك الشَّيء)، بل الغاية للمُشيء (الإنسان) فالغاية لا تزيد عن كونها ذلك الذي يضمره العقل البشري تجاه ذلك المأمول الذي يستوجب بَعد بلوغه غاية كيفية بها يتمّ التعامل معه أو التمكّن منه أخذا. ممّا يستوجب جهدا يبذل بعد بلوغ الغاية وهو التعامل مع المأمول كسبا وإشباعا للرغبة أو الشَّهوة أو الحاجة المتنوّعة.

فعلى سبيل المثال: إذا كان للإنسان غاية محدّد وهي السّفر إلى دولة ما، وتحقّق له هذا السّفر ودخل إلى تلك الدّولة، فهنا تعد الغاية قد تمّ بلوغها، ولكن ما المقصود من ورائها؟ هل المقصد من ورائها هو العمل أم العلاج؟ أم مجرّد الإقامة والعيش هناك؟ فهذا الشَّيء لم يكن الغاية، بل هذا

الشَّيء هو المأمول وهو المترتّب على بلوغ الغاية (بلوغ أراضي تلك الدّولة) ممّا يجعل لمن كانت له غاية السّفر إلى تلك الدّولة أن يفصح عن مأموله وأن يعمل عليه حتى يتمّ نيله أو الفوز به وفقًا للجهد المبذول عملًا منتجا. ولهذا؛ فالغاية لا تزيد عن كونها الكامنة في الصدور والعقول التي ترسم لمستقبلها مأمولًات وتسعى إليها غاية تبلغ، ومن بعدها يتمّ نيل المأمول جهدا مع قبول تحدّي الصّعاب وصبر لا يجعل في نفس صاحبه للملل مكانا ليركن إليه.

وعليه:

. الغاية تبلغ، والأمل يتمّ نيله مأمولًا.

. الغايات يسبقها غرض وهي تسبق الأمل.

. الغاية مع أنَّها في النَّفس وتحت سيطرة العقل، ولكن الشَّيء المراد بلوغه قد يكون بعيدا، ومع ذلك قوّة الغاية وتحفّز أصحابها يسرّع من طيي الهوة بين من يضمر في نفسه غاية والشَّيء المراد بلوغه؛ ليصبح إجابة مشبعة لأملٍ سابق.

. بلوغ الغاية يُمكّن من فسح الطريق أمام الآمل وأمله في نيل المأمول.

. الغاية تُبلغ ولكنّها لم تكن في ذاتها شيء، بل الغاية بلوغ الشَّيء ليكون من بعد بلوغه عمل يجعل نيل المأمول الذي تمّ بلوغه ميسّرا وفقًا لأملٍ سابقٍ؛ ولهذا فالشَّيء يتم نيله أو أخذه، أمّا الغاية فلا تؤخذ ولا يتمّ

نيلها، بل نيل الشَّيء لا يؤخذ إلّا من بعدها؛ فينبغي على الإنسان أن يولّد في نفسه غايات وفي عقله تدبُّر، ثمّ يعمل حتى يتمّ نيل المأمول الذي لم يكن قبل نيله إلّا مجرّد أمل.

إذن: بلوغ الغايات ونيل المأمول يستوجب:

. وضوح الغاية والأمل.

. تخمين مع حُسن تدبُّر.

. وعي بالمأمول.

. إمكانيَّة بلوغ المأمول.

. قبول تحدّي الصّعاب.

. صبر لا إحباط من بعده.

. ثّقة لا شكّ يراودها.

. يقين لا حياد عنه.

. صمود وإن كانت الصّعاب تصاحبه مؤقّتا.

. ثبات ولا حياد عن تلك الأهداف الواضحة تجاه الغايات المراد بلوغها والآمال المأمول نيلها.

إذن: فعلى بني آدم أن يعملوا، وعليهم أن يعرفوا إنّهم سيبلغون السّماء ارتقاء كلّما عملوا وفقًا لغايات يتمّ بلوغها، وآمال يتم نيلها.

الأمل ليس الطُّموح:

الطُّموحُ رغبة شديد بغاية بلوغ مرتبة أو مكانة، وهذه إن كانت عن مثابرة جادة سيتم الوصول إليها، ولكن ليس دائمًا الطَّموح يبلغ مقاصد وغاياته، وهذه لم تكن من صفة الآمل الذي له من الأهداف ما له مع وافر الإصرار والعزيمة وجمع الإمكانات مع وافر التهيؤ والتأهُّب.

ولذلك فقيمة الخوف في الزَّمن الآن تلفت الانتباه الفكري والعقلي لِما هو آتٍ دون شكّ في دائرة الممكن المتوقّع؛ كي لا يقع إذا بُذل الجهد الممكّن من تحقيق السَّكينة لتحلّ محلّ الخوف؛ فالأمل كونه يرتبط بما هو أفضل وأجود وأنفع؛ لأنّه مكمن الطُّموحات التي فيها تتحسّن الأحوال وتحدث النُّقلة من مستوى قيمي أدنى إلى مستوى قيمي أعلى. فمن يعمل في الزَّمن الآن برؤية المستقبل، يجد نفسه قد أمّن لنفسه مستقبلًا خاليًا من التَّأزُّمات، ومن يغفل عن ذلك في زمنه الآن، يجد نفسه قاعدا مع القاعدين.

وعليه: لولا الخوف في الزَّمن الآن ما فكّر من فكّر في مستقبله، وما سعى وتطلّع وطمح فيما يحقّق به الأمن والسكينة، فالطُّموح مرحلة من مراحل الوعي الفكري والثقافي، فيها تمتدّ الذات من حيّز التمركز على ذاتها، إلى مجال التطلّع تجاه الآخر الذي له من الخصوصيَّات التي تميّزه عن غيره، وفقًا لقدراته واستعداداته ومواهبه وإمكاناته وعلومه وثقافته

وحضارته، ممّا يجعل الذات في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع قادرة على نيل كلّ ما من شأنه أن يحُقق لها الفوائد والمكاسب.

فالشَّخصيَّة الطُّموحة تقترب صفاتها من صفات الشَّخصيَّة التطلُّعيَّة التي تشغل منطقة وسطًا بين الذَّاتيَّة والموضوعيَّة، وهي مجال النشاط الفكري والسلوكي المتميّز عن (الذَّاتيَّة) والمتميّز عن (الموضوعيَّة)، ولكنَّه في الوقت ذاته مكوّن مشترك بين مقوّمات الذَّاتيَّة ومقومات الموضوعيَّة، ممّا جعله قاطعا مستقلا بذاته في خماسي تحليل القيم[12].

وعندما تقتصر رؤى الشَّخصيَّة على مكوِّنات الذات القيميَّة، توصف بالذَّاتيَّة، وعندما تستوعب تلك الرؤى وتستوعب إلى جانبها ما ينبغي أن تقوم به أو تفعله وتسلكه تجاه الآخرين، حينها توصف الشَّخصيَّة في هذه الحالة بأنّها طموحة؛ إذ أنّها تتطلّع إلى ما هو أفضل وفقًا لافتراضاتها المنطقيَّة لِما هو متوقّع أو مفترض.

والعيب الذي قد يظهر على هذه الشَّخصيَّة الطُّموحة، أنّه ليس كلّ مفترض أو مطموح فيه يظهر الحقيقة؛ فالمفترض أو المتوقّع المطموح فيه يتطلّب مبررات لإثبات حقيقته من عدمها؛ ولذا فإنَّ الأحكام التي ستثبته مؤجّلة، فإذا فعلتْ أو حكمتْ الشَّخصيَّة الطُّموحة وفقًا لافتراضاتها

[12] عقيل حسين عقيل، خماسي تحليل القيم، دار الكتاب الجديد، بيروت، 2004، ص 38.

المسبقة؛ فقد تقع في الخطأ؛ ولذا فعليها أن تنتظر إلى أن تتبيّن حتى لا يقع الخطأ؛ فعلى سبيل المثال: القضيَّة التي تقول:

كلّ من وقف بعرفات كُتبت له حُجَّة.

عبد الله وقف بعرفات.

إذن: عبد الله كُتبت له حُجَّة.

هذه قضية منطقيَّة لا شكّ فيها، ولكنّها قد تكون قضيَّة لا مصادق لها؛ ولذا يصبح الشكّ فيها، فإذا كان عبد الله قد وقف بعرفات في غير موسم الحجّ، وفي غير يوم عرفات، فلا تُكتب له الحُجَّة، وكذلك إذا كان عبد الله موظفًا أو طبيبًا أو حارسًا أو بائعًا، ووقف بعرفات في يوم عرفة، بهدف أداء مهام خدميّة فقط فلا تكتب له حُجَّة؛ وذلك لافتقاده مبررات أداء الفريضة، وهي أن يكون ضامرا للحجِّ، وقد أدّى ما سبق من فرائض قبل الوقوف بعرفات، حتى يصبح الوقوف بعرفات حقيقة لأداء ركن من أركان الحج؛ ولهذا الحوار المنطقي ينبغي ألا يقتصر على تبادل الحجج الوثائقية، بل يجب أن يحتوي أيضًا على توفّر النيّة والرّغبة الصادقة في التواصل والترابط والتآخي، وأن تكون الأفعال المصاحبة تهدف إلى كسر القيد الذي يكبّل الإرادة.

وكذلك القضيَّة التي تقول:

كلّ من آمن كُتبت له الجنَّة

سعيد آمن

إذن: سعيد كُتبت له الجنَّة

نقول:

نعم إنَّ الجنَّة لا تُكتب إلا لمؤمنٍ، ولكن من هو المؤمن؟

إنَّه الذي يخاف الله.

وهل كلّ المؤمنين يخافون الله؟

نقول:

أكثرهم لا يخافونه، ولهذا ليس دائمًا كلّ من آمن قد كُتبت له الجنَّة. ولهذا فالأمل العظيم يمكّن منها، أمّا الطُّموح فليس بالضرورة؛ لأنّ الطّمح في ذاته لا يزيد عن كونه رغبة جامحة.

وعليه، فالإنسان الطُّموح هو في حالة تطلّعيّة، لأنّه في حالة نُقلة من التمركز على الذات إلى حالة الاتزان النَّفسي الذي يتفاعل مع قيم المجتمع وعاداته وأعرافه ومعتقداته، ثمَّ يتفاعل مع كلّ ما هو مفيد لدى الآخر.

إذن: الشّخص الطُّموح يميل إلى ما يمكن أن يستفيد منه، وهنا الطُّموح غير الأمل؛ لأنّ الطُّموح يعرّض الطّامحين أحيانًا إلى تقديم التنازلات من أجل الوصول إلى طموحاتهم، وفي المقابل الشخص الآمل صانع نفسه لا يميل إلا وجوبًا.

ولذا في بعض الأحيان لا تفارق العاطفة طامحًا، أمَّا الأمل فيمكّن الآمل من السَّيطرة على نفسه؛ فعندما لا تسيطر العاطفة أمام العقل على الفعل والسّلوك بالتمام، يُفسح مجالا جديدا للعقل والنَّفس بأن يكون التفكير فيما يجب، ممّا يجعل النَّفس تسعى لِما يُفترض أو تميل إليه، والميل هنا موجب، حيث التطلُّع للأفضل، الذي يحافظ على الهويّة والخصوصيَّة، ويمتد من أجل أن يتعرّف على الجديد المفيد، ويسعى إلى الحصول عليه. وهذا لا يعني أنَّ كلّ ميل هو موجب، فعندما تميل الشَّخصيَّة من حالة التمركز على الذات إلى حالة التخلي عن بعض من مكوناتها القيميَّة تصبح الشَّخصيَّة على حالة من الإنسحابيَّة؛ فتوصف في هذه الحالة بالشَّخصيَّة الإنسحابيَّة التي تتخلى عمّا يجب الأخذ به.

وعليه: فالتطلُّعيَّة مرحلة من الوعي تُمكّن الذات من استيعاب دورها وما يجب أن تفعله مع الآخر، حتى لا يحلّ ما يخيف محلّ ما يجب.

ولأنَّ التطلُّعيَّة هي حالة وعي بالمحيط المعرفي والثَّقافي والحضاري، فهي تعد مرحلة نضج، به تتمكّن الشَّخصيَّة المتطلّعة من الإلمام بالموضوع المشترك مع الغير كواقع لا مفرَّ من التعامل معه.

ولأنَّ (الذَّاتيَّة) هي ما يدور من حوار بين الرغبات والمطالب، والحاجات والبواعث، والحقوق والواجبات والمسؤوليات، في حدود الدين والعرف والقيم السائدة على مستوى المجتمع أو الدولة، حيث ثبات الذات وتغيّر الأدوار وتنوع المواضيع، فإن التطلُّعيَّة هي درجة من الاعتراف بأنَّ

للآخر رغبات ومطالب وحاجات وبواعث مشبعة، وحقوق وواجبات ومسؤوليَّات ينبغي أن تُقدّر وتحترم، وإن لم تُقدَّر وتُحترم ستكون العواقب غير محمودة، ولذا فمن غير المنطقي أن يتمَّ تجاوزها أو الإغفال عنها؛ كي لا تُمسّ ولا تؤخذ بما هو على حسابها.

وللتمييز بين المستويات القيميَّة للشخصيَّة نقول:

1 ـ الأنانية: معيارها الشَّخصانيَّة (أنا كلّ شيء).

2 ـ الإنسحابيَّة: معيارها نفعي انسحابي (أنا أولا، وإلّا ..).

3 ـ الذَّاتيَّة: معيارها العاطفة (نحن كلّ شيء).

4 ـ التطلُّعيَّة: معيارها المنطق (حُجَّة بحُجَّة).

5 ـ الموضوعيَّة: معيارها العقل (نحن سويًّا).

وعليه: عندما يخاف الإنسان من المظالم، يتمسّك بالقيم والمعايير الاجتماعية التي تستنبط من الإطار المرجعي لمجتمع العاطفة، ويقدّر قيم الآخر ومعاييره، في هذه الحالة تعد ذاته في حالة تطلّعيّة، وعندما يتمسّك الإنسان بالقيم والمعايير الخيّرة بغض النظر عن مصادرها، تؤسّس أحكامه على الموضوعيَّة، وتُعد معاييره إنسانيَّة. وعندما تميل كفّة المعايير العامّة بمنطق على حساب كفّة المعايير الخاصّة، حينها تميل الشَّخصيَّة إلى الموضوعيَّة فتوصف بالتطلُّعيَّة، وعندما تميل إلى ذلك دون حُجَّة ولا حقيقة، تصبح الشَّخصيَّة في حالة ميلان إلى الأنانية.

ومع أنَّ المنطق يَفترض أنَّ النَّاس متساوون في الحقوق والواجبات والمسؤوليات، إلّا أنَّ الواقع قد يُثبت غير ذلك، حيث نجد البعض من بني الإنسان في حالة إشباع، والبعض في حالة عوز، والبعض في حالة ادّخار بعد الإشباع، وآخر في حالة شُح، والبعض الآخر في حالة إيثار حيث يُقدِّم من هو في حاجة أو من هو أفضل على من هو أقل، ولذا فالشَّخصيَّة المؤثرة، هي الشَّخصيَّة المنطقيَّة التي تميّز بين ما يجب وما لا يجب، وعندما تحتكم بالمنطق تقول الحقّ وتفعل صوابا مصداقا لقول الله تعالى: {وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ}[13].

ومع ذلك فالشَّخصيَّة الطُّموحة قد تقتصر أهدافها وغاياتها على الظرف الآني، في سبيل أن تمتدّ إلى ما هو مستقبلي، فتميل إلى المغالبة، مغالبة ما يفيد في الزَّمن الآن على ما يجب أن يكون.

إذن: عندما تخاف الشَّخصيَّة، تستشعر بأنّها في حاجة إلى المزيد المعرفي والعلمي والتقني والمزيد العلائقي الذي به تستأمن وتؤمّن مستقبلها، وهي في هذه الحالة ستمتدّ إلى مرحلة ما بعد الذَّاتيَّة، فتصبح تطلُّعيّة على درجة عالية من المزيد المعرفي الممكّن من إحلال السكينة محلّ الخوف، ولكن في هذه المرحلة قد يجد الطامح نفسه في موقف بين تطلّع لما يجب وقبول الأمر الواقع.

[13] . سورة الحشر، الآية 9.

ومع أنَّ الطُّموح استشرافي، لكنّه قد يكون على حساب الغير، أي: يمكن للطامحين أن يضحوا بالغير ليكونوا على حساب وجودهم. وهذا ما ليس بمأمول عند آمل.

ومع أنَّ كلّا من الآمل والطّامح لا يقبلان وجود سقف يحدّ من التفكير، ولكن رؤى الآملين مصنّفة ومقنّنة، أمّا رؤى الطامحين فهي في بعض الأحيان تلتقي مع رؤى الحالمين والواهمين. فعلى سبيل المثال: إذا كان طموح الطّامح تبوّء منصب في مؤسسات الدّولة؛ فمن أجل تبوئه قد يتآمر مع المتآمرين وقد يخون، وهذه ليست من شيم الآملين الذين ليس لهم وقت للضياع.

الأملُ ليس المستحيل:

الأمل حيويَّة بشريَّة تنبعث طاقة في الفكر المتأمّل أحواله، وما يدور من حوله، وما يجب أن يقدم عليه تجاه ما يتعلّق به من أمر، وهو لا يكون إلّا في دائرة الممكن، أمّا المستحيل ما ليس بيد البشر، وغير ممكن الحدوث على أيديهم؛ فلا يُفعل من قِبلهم، ولا إمكانيَّة لبلوغه، ولكن لو لم يكن ما كنّا، ولأنّه كائن؛ فلا إمكانيَّة لتجاوزه، ولا إمكانيَّة للقفز عليه وكأنّه لا وجود. إنّه الحائل بين الممكن النّسبي (كلّ ما هو بيد المخلوق) والممكن المطلق الذي لا وجود للصّفر فيه وهو لا يكون إلّا بيد الخالق.

فالمستحيل لا يكون إلّا حيث لا تكون الإمكانيَّة، وهو ليس بالصَّعب؛ فالصَّعب يمكن بلوغه في دائرة الممكن غير المتوقّع، أمّا المستحيل؛ فلا إمكانيَّة حيث وجود الصّفر بداية ونهاية.

والمستحيل لا يُوجِدُ نفسه ولا يخلقها، بل لا بدّ من خالق من ورائه، إنّه القوّة التي لا تكون إلّا بيد القوي، الذي لا يُفعل المستحيل إلّا بأمره. ومع ذلك؛ فالمستحيل أمر في ذاته، حيث يقف المخلوق عند حدّ لا يدرك من بعده شيء سوى الوجود الذي لا يكون إلّا بفعل الفاعل الذي جعله وجودا؛ فالفاعل لو لم تكن بيده القوّة المطلقة ما كان المستحيل فعلا مستحيلًا.

ولهذا فلا مجال لأملٍ إلّا في دائرة الممكن، ولا إمكانيَّة لنيل مأمولٍ إلّا فيها، وهذه ما دون المستحيل والمعجز، حتى وإن كان المأمول المتحقّق نيله خارقة من الخوارق؛ فالخوارق لا تخرج عن دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع.

ومن ثمّ كان المستحيل كونا متسعا ومتسارعًا في تمدّده، وكان الأمل يلاحقه بغاية معرفته مأمولًا، ومع ذلك لازال قاصرا عن معرفته بالرّغم من الأمل العريض.

فالكون لو لم يكن عملًا مستحيلًا ما كان انفجاره أو فتقه عظيمًا، ومع أنَّ المستحيل شيء يتحقّق، لكنّه لا يوصف بشيء، أي: لو لم يكن المستحيل شيئًا ما تحدّثنا عنه، ولأنّه شيء ونتحدث عنه؛ فهو يشغلنا حيرة تدفعنا تجاه معرفة مَن ورائه؛ فنحن نقف عاجزين أمام توصيف المستحيل

الذي مهما تدبُّرنا أمره؛ فليس لنا إلّا التسليم، الذي يقرّ بوجود واجد له، ولا يكون إلّا أعظم منه؛ ومن ثمّ فلا يوجد شيء، أو يخلق لو لم يكن من ورائه خالق.

ومن هنا افترق البعض القليل من النَّاس مع البعض العظيم؛ فالقليل منهم وقف عند معجزة المستحيل في ذاته، أمّا معظم النَّاس؛ فلا يؤمنون بعظمة المستحيل إلّا بعظمة فاعله المطلق الذي خلقه حائلا لا يخترق مهما آمل الآملون.

ولأنَّ المستحيل نتاج طاقة وقوّة؛ فهو فعل يُفعل؛ فينتج عملًا قابل للملاحظة والمشاهدة، ولأنّنا نقف أمام المستحيل عاجزين؛ فَلِمَ لا نقف أكثر عجز أمام الفعّال له؟

فعلماء الفيزياء اكتشفوا أنّ الكون يتمدّد متسارعًا، وهم عاجزون عن إيقافه، بل هم عاجزون عن قياس سرعة تمدّده، كما أنّهم عاجزون عن معرفة نقط صفر النّهاية التي سيتوقّف عندها، ومع ذلك يرى البعض أنّ الكون يتمدّد متسارعًا، ولا شيء وراء تمدّده متسارعًا، أي: لا إله من ورائه، وكأنّه تمدّد بلا غاية.

ومع ذلك أجمع علماء الفلك والفيزياء على أنّ للكون نهاية، وليس له بدّ إلّا بلوغها، وهي الانكماش أو التجمّد أو الانفجار الذي ينهي تمدّده المتسارع ويقفه عند حدّه، أو يكون سببا في إعادة تشكيله من جديد، أو كما نرى نحن إعادة رتقه مع الأكوان الأخرى التي سبق وأن

فُتقت؛ لتعود إلى حالتها الطبيعيَّة التي خُلقت عليها عوضا عن الحالة التي أصبحت عليها طِباقا.

وبما أنَّ الفزيائيين واثقون من نهاية الكون؛ فالسُّؤال:

من الذي وضع له نهاية؟ ثمّ كيف وضع الكون لنفسه حدًّا كما يظنون وهو لم يصل إليه بعد؟

أقول:

كلّ ما قيل في هذه الخصوصيَّة؛ ليس بحكم علمي، بل مجرّد آراء لا تتعدي نظرات أصحابها الذين انبهروا بما رأوه من مستحيلًات حتى ظنوا أنّها الخالق؛ وهم بهذه النظرة، كمن لا يميّز بين الخالق وما خَلق. ولكن، وفقًا لقاعدة المستحيل المؤسّسة على خَلق الشَّيء من لا شيء؛ فلا شيء إلّا ومن ورائه مشيء، وسيظل الأمر كلّ شيء من ورائه مشيء حتى بلوغ المستحيل الذي لم يكن من ورائه إلّا المستحيل الذي يؤدّي بالواعين إلى التّسليم الذي لا يجعل لآمالهم فسحة إلّا فيما دون المستحيل والمعجز.

ومثلما يكون وراء كلّ شيء شيئًا كما هو حال بنو آدم الذين هم من نطفة، وآدم من تراب؛ فكذلك يكون وراء كلّ مستحيل يشاهد ويلاحظ مستحيلًا لا يمكن مشاهدته ولا ملاحظته، مع أنَّه يُدرك استحالة؛ فالمستحيل كفعل يتحقّق عملًا؛ فهو: مثل خلق الكون، والحياة والموت والشّروق والغروب، أمّا المستحيل كذات؛ فلا يتجسّد في شيء يمكن أن

يكون من ورائه شيء آخر؛ فيصبح التسليم به إعجازًا حيث لا شكّ في وجوده، المستحيلات تتحقّق بين أيدي النَّاس في كلّ جزئية من الزّمان والوقت ولا أحد يستطيع إيقافها أو الحدّ منها وإن عظمت آماله؛ ولذا؛ فمعرفة المستحيل تُمكّن من معرفة مستحيلًات أعظم حتى بلوغ المستحيل مستحيلًا.

فالكون الذي قالوا عنه خُلق من لا شيء ولا خالق من ورائه؛ فبقولهم هذا يعترفون بوجوده، والخالق من ورائه، وإلّا لماذا قالوا: (خُلق من لا شيء) فكلمة (خُلق) تعيد أمر الخلق للخالق وليس للشيء المشار إليه بأنّه قد خُلق من لا شيء.

ولأنَّ وجود الكون شيء مستحيل؛ فلا شكّ أن من ورائه ما هو أعظم استحالة، وهنا، يكمن القصور بين إدراك المستحيل الأوَّل (الخالق) وبين ما يراه المستحيل اللاحق (الإنسان) الذي خُلق مستحيلًا؛ فالإنسان مع أنَّه خُلق مستحيلًا، لكنّه لا يخلق المستحيل؛ ولهذا فالقاعدة:

(من يَخلق المستحيل لا يُخلق).

ولأنَّ من يخَلق المستحيل لا يُخلق، والكون خَلق مستحيل؛ إذن: فالمستحيل (الكون) يُخلق وخالقه لا يُخلق، ولهذا؛ كان خلق الكون مستحيلًا مثله مثل أيّ مستحيل.

والقاعدة الخلقية تقول:

(المستحيل قوّة تَخرِق ولا تُخرَق).

ولأنَّ المستحيل قوّة اختراق لكلِّ قوّة وإن اجتمعت، فقوّة الكون تمدّدا وتسارعًا ستقف وتنتهي انكماشا أو انفجارا عظيمًا، أو رتقا أعظم، وهذا يدلّ على وجود مسيّرٍ للمستحيل، وموقف له، أو مفجّر، أو راتق له، حيث لا استحالة أمام الفعل المستحيل. وهنا تقف الآمال عاجزة، ومن ثمّ ليس لها إلّا التسليم.

ولذا فالتوقّف عند المستحيل عن وعي، يمكّن من عدم الوقوف عنده نهاية؛ فالمستحيل فعل لا يتحقّق إلّا وفق مشيئة فاعله، وهو الذي ينبغي أن يدرك بمشاهدة وملاحظة مستحيلًاته حتى يدرك أنَّ إدراكه مشاهدة وملاحظة هو الاستحالة بعينها. ولذلك؛ فالقاعد الخَلقيّة تقول:

(المصوِّرُ المطلق يرى ولا يُرى).

وعليه فلا إمكانيَّة لرؤية المصوِّر المطلق كونه لا يُصوَّر، ولهذا فخالق الشَّيء لا يمكن أن يكون الشَّيء؛ ذلك لأنَّ الشَّيء يُخلق والمشيء لا يُخلق.

ولأنَّ المشيء لا يمكن أن يكون شيئًا، إذن: فكيف للكون كونه شيئًا أن يكون مشيئًا لخَلق ذاته؟

هذا ما ارتأه بعض علماء الفيزياء الذين وقفوا على معجزات الخالق وكأنّها خالقة لنفسها، ومن لا شيء، وفي هذا الشأن وكأنّهم يقولون: نحن خُلقنا شيء من لا شيء في الوقت الذي هم فيه يعلمون أنّهم قد خُلقوا

من ترابٍ. وإلّا كيف يقبلون بخلقهم من تراب وهم يعلمون أنّ أباهم آدم لم يخلق نفسه، وهو من تراب، أي: بما أنّ آدم من تراب، ولم يكن ترابا؛ فمن الذي خلقه آدما؟

إنَّ هذه القاعدة تسري بالتّمام على خَلق الكون الذي قالوا عنه إنّه من ذلك الانفجار العظيم لتلك الذّرة التي لم يقولوا عن خلقها شيئًا، وهي التي لو لم تُخلق ما كانت ذرة، وما انفجرت كونا عظيمًا كما يدّعون بلا دليل سوى وجود أثرٍ يشير إلى الانفجار،

أو يشير إلى ما يشبه الانفجار، في الوقت الذي قال فيه الخالق تعالى غير ذلك: {أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا}[14].

وبناء على هذا القول تساءلنا:

أيّهما أولى: أن نأخذ بقول الخالق، أم أن نأخذ بقول المخلوق؟ ومع ذلك قبلنا قول المخلوق لنأخذ بقول الخالق.

فالخالق الذي خَلق الكون، وكوّر فيه النّجوم والكواكب كما كوّر منه الأرض التي خُلق الإنسان الأوَّل من ترابها عندما كانت مرتقة في السّماوات جنَّة، قال: {اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ}[15]. فكيف بمن لم يكن سابقا على قوله تعالى، أن يقول: إنّ الكون خَلق نفسه؟

---

[14] الأنبياء 30.

[15] الزّمر 62.

وكيف أقنع نفسه بذلك مع أنَّ ما بلغه من معرفة لم يكن ولادة أمل حتى يكون بين أيدي النَّاس دليلا شاهدا في معامل ومختبرات البحث العلمي المتقدّمة؟

وإذا سلّم من سلّم بهذا القول؛ فسيجد نفسه في مواجهة مع خلق نفسه التي لم يخلقها. وبتسليمه هذا ليس له بدّ إلّا الاعتراف بأنّه لا إمكانيَّة أن يخلق الشَّيء نفسه. أي: كيف لمن يعرف أنّه خُلق من نطفة أن يقول شيئًا غيرها؟

ولأنَّ قاعدة الخلق تقول: الشَّيء يُخلق ولا يَخلق.

إذن: فمن خُلق من نطفة ليس له بدّ إلّا استمداد قاعدة خلقه من شيء (تراب أو نطفة) ليستقرا بها خلق الشَّيء الذي لا يمكن أن يخلق نفسه. أنّها المسلّمة لمن يدرك أنّه لم يَخلق نفسه، لكونه يدرك خلقه من النطفة التي من قبلها يعلم أنّها لولا التزاوج ما كانت، وكذلك من قبلها يدرك أنّ أبويه (آدم وزوجه) لم يكونا من نطفة، وهنا تكمن العلّة التي قفز عنها بعض من علماء الفيزياء بقولهم: إنَّ الكون خلق نفسه ولا خالق من ورائه.

ومع أنَّهم يؤمنون بخلق الأشياء، ولكنّهم عندما وقفوا عند أكبرها (الكون)، قالوا: إنّه شيء، ولكنّه خالق. وهذا ما يتعارض مع قواعد الخَلق:

. هيئة الشَّيء تسبق الشَّيء وجودا.

. وراء كلّ شيء مشيئة.

. وراء كلّ مخلوق خالق.

. الخالق يرى ما خلق، والمخلوق لا يرى خالقه.

ولذا فالكون لو لم يكن له مكوِّن ما كان كونا، والخَلقُ لو لم يكن من ورائهم خالق ما خُلقوا، والعلم لو لم يكن من ورائه العالم ما عُلّم: {وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا}[16].

وعليه:

فالمستحيل فعل، والفعل لا يشاهد ولا يلاحظ إلّا إذا تجسّد في عملٍ؛ ولذلك فالمستحيل طاقة تُمكّن من إيجاد ما لم يسبق وجوده؛ ومن ثمّ؛ فالمستحيل فعل أوجد كونًا متمدّدًا ومتسارعًا في تمدّده، ثمّ خُلق منه وفيه ما خلق مستحيلًا، وكلّ ما خُلق استحالة، لا يُخلق ممّن لا يتجاوز جهده دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع وإنّ كان يأمل ذلك.

ولأنَّ الكون خُلق خَلقا مستحيلًا؛ إذن: فلا إمكانيَّة لخلق كون مثله إلّا من الذي خَلقه مستحيلًا، ومن هنا، استقراء علماء الفيزياء والفلك، وجود أكوان أخرى خارج كوننا المتمدّد تسارعًا، ومع أنَّهم اكتشفوا معطيات تشير لذلك، ولكنّ ما هو أعظم: إنَّ الخالق قد أخبر عنها وضوحا، ويا ليتهم يطّلعوا على الكتاب لعلّهم يرشدون إلى ما هو أعظم

[16] البقرة 31.

علما ومعرفة: {أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا}[17]؛ فقوله: (كيف خلق) هنا يكمن المستحيل حيث لا إمكانيَّة لمعرفة الكيفيَّة التي بها خلقت الأكوان طِباقا، ولأنّ معرفة (كيف؟) أمر مستحيل؛ فأخبرنا الخالق عن (الكيف) بقوله: {أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا}[18]. أي: بعد أن كان الكون ملتحما سماوات وأراضين، فُتق مستحيلًا إلى سبعة سماوات وسبعة أراضين، وبما أنّنا نعلم بفتق الأكوان؛ فَلِمَ لا نبحث؛ حتى نكتشفها مستحيلًا بعد مستحيل.

ولذلك فالأرض لا تَخلق الأرض، والسّماء لا تَخلق السّماء، وعالم الفيزياء لم يلد نفسه ولم يخلقها، وحتى إن خُلق الشبيه بأيّ مفتاح من مفاتيح العلم؛ فلن يُخلق الشبيه البشري إلّا من خلية حيّة، وحتى إن خلق الشبيه؛ فسيظل شبيها، ولذلك؛ فقضية الخلق (الحياة) لن تكون إلّا بيد من بيده أمر الحياة.

ولأنَّ المستحيل لا يمكن أن يُدرك إلّا عندما يصبح شيئًا مفعولا، إذن: فالمستحيل عندما يتجسّد في عمل يصبح مفعولا شكلا أو صورة أو شيئًا مشاهدا وملاحظا، ولأنّه المفعول؛ فلا يكون إلّا بفعل الفاعل، ولأنّه بفعل فاعل المستحيل؛ فهو لم يَخلق نفسه، بل من ورائه خالق المستحيل الذي لم تتمكّن عقول بعض الفيزيائيين من التمييز بينه وبين فعله

[17] نوح 15.

[18] الأنبياء 30.

الإعجازي؛ فعقول البعض وقفت عند المستحيل وكأنّه الخالق، وهنا تكمن العلّة المعيقة للبعض من الارتقاء وإحداث النُّقلة. ولهذا وجب للإنسان أن يأمل ويسعى عملًا جادا من أجل بلوغ المأمول العلمي، ونأمل له نيله، شريطة أن يكون نتاج تساؤلات وفروض علميَّة، بحيث يبرهن لنا تجربة يمكن تكرارها ومشاهدة الحقائق البعيدة من خلالها قريبة.

ولذلك فالكون لو لم يكن مخلوقا ما كان مستحيلًا، والاستحالة من أجل أن تُدرك ينبغي أن تلاحق وتتابع استحالة بعد استحالة، وكأنّها تتدرّج من الأصعب إلى الصَّعب، فخَلق الكون وتسييره أكبر المستحيلًات التي تمّ إدراكها عقلا، ثمّ خَلق المشاهد في ظُلمة، فيها خُلقت الأرض كما خُلقت النّجوم والكواكب والمجرّات، ثمّ خلقت الأزواج من الأرض وهي مرتقة في السّماء، ثمّ من بعدها خُلق التكاثر تزاوجا؛ فكلّ هذه المخلوقات هي نتاج الفعل المستحيل، ولذلك؛ فبمقارنة خلق الأزواج من الأرض وهو الأقرب لعقول البشر، نجد أنّ الخلق من لا شيء (خلق الكون) يبدو وكأنّه أصعب من خلق الأرض، وهكذا خَلق الأرض يبدو وكأنّه أصعب من خلق آدم وزوجه المخلوقان منها، وكذلك الخلق من التزاوج على الصّعوبة التي لا تقارن لو لم يكن هناك ما هو أعظم خلق منه.

ومع أنَّنا ندرك أنّه لا صعوبة بالنِّسبة إلى الخالق، كونه يخلق بأمره ما يشاء متى ما يشاء، وأينما يشاء، وكيفما يشاء، ولكن لتقريب المعنى وتوصيل المفهوم دلالة استمددنا مثالًا توضيحًا للمستحيل الذي لا يكون

إلّا مخلوقًا ومفعولًا من خالق يَخلقه ويفعله؛ ولذلك فلا وجود للصّعب على من بيده أمر الخلق استحالة، ولكنّ الصَّعب يواجه من يحاول بجهده ومقدرته المحدودة في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع.

فالمستحيل فعل لا تواجهه الصّعوبة، بل الصّعوبة تواجه الممكن الذي لا يكون إلّا في حدود الجهد والإمكانات المتاحة؛ فالمستحيل لا علاقة له بالجهد، بل له علاقة بالفعل المطلق الذي لا يكون إلّا بيد من فعل المستحيل الذي به خُلق الكون تمدّدا وتسارعًا إلى النّهاية التي من بعدها ستؤول الأكوان كونا مرتقا.

ولذا فعندما تُرتق الأراضين والسّماوات يعود الكون كما خُلق أوّل مرّة: {اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ}[19]؛ فالوجود هكذا سيكون بين تمدّد وانكماش حتى النّهاية التي تعتدل فيها الأكوان على كرسي خلقها بلا استحالة.

فالمستحيل لا يكون بالعمل، بل المستحيل لا يكون إلّا بالفعلِ؛ ذلك لأنَّ العمل يتحقّق وفقًا لما يُبذل من جهد وما ينجز منه، أمّا الفعل؛ فلا يتحقّق إلّا بفعل الفعّال، حيث لا حاجة للجهد (كن فيكون)، وعن غير مقارنة فأنا مثل غيري، بنظرات عيني فقط، أقول لأبنائي: اصمتوا، أو اجلسوا، أو اخرجوا؛ فما بالك بخالقي وخالق الكون وكلّ شيء مستحيل، ألا تكفي كلمة (كن)؟

[19] الرّوم 11.

وعليه:

فكلّ ما لم يكن مستحيلًا هو ممكن، وهنا تصنع الآمال وتولد أمل من بعد أمل، والفرق بين الممكن والمستحيل، هو: أنّ الممكن، قابل للإثبات أو الاكتشاف، وهو في حاجة لمن يبرهن على معطيات وجوده، وهو قابل للإثبات مثلما هو قابل للنّفي والرّفض، وقابل للظّهور مثلما هو قابل للكمون، وقابل لأن يكون أملًا من أجل مأمول.

ولهذا لو لم يكن ممكنا ما تمَّ إثباته واكتشافه وظهوره وكمونه والشّكّ فيه، ومقارنته مع غيره، أو معرفة مدى ترابطه أو ثباته أو اهتزازه.

أمَّا المستحيل: فهو المثبت الذي نعلم به ولا نعرف كيفيته إن لم يخبرنا عنها فاعله تعالى، فعلى سبيل المثال: المؤمنون يعلمون بيوم البعث، ولكنّهم استحالة لا يعرفونه، ولا يعلمون ساعته؛ ولذلك فالخلائق تموت ولا أحد يستطيع إيقاف الموت عنها، والأحياء يخلقون ولا أحد يستطيع بث الحياة فيهم إن لم يولدوا أحياء، وهكذا الشّمس تشرق وتغرب، ولن يستطيع أحد تغيير أمرها أو تبديله.

ولأنَّ وجود المستحيل لا يُنفى؛ ولا يُلغى، ولا يُقدّم ولا يؤخّر؛ فهو متحقّق، في زمن المفاجئة، فالصّواعق والزّلازل والبراكين لابدّ وأن تحدث، ولكن ينبغي أن نعمل ما من شأنه أن يقي عنها، وكذلك المرض آتٍ ولكن ينبغي أن نعمل ما من شأنه أن يقي عنه، ويشفي منه، والصّحة تضعف، والعمل على تقويتها ضرورة ممكنة، والموت لا شكّ أنّه آتٍ وإن أطلنا في

أعمارنا وبلغنا عمر نوح عليه السّلام أو حتى تجاوزناه سنينا، فكلّ ذلك ممكن علما وبحثا ومعرفة. ولكن أن نلغي الحياة أو الموت حتى وإن دمّرنا ما يمكن لنا تدميره؛ فلا إمكانيَّة، وهنا يكمن المستحيل، أي إنّ أمر المستحيل بين يدي فاعله أمرا نافذا؛ فعلى سبيل المثال: عندما يكون اليوم السّبت فإنّ يوم الأحد سيأتي غدا وفقًا لِعِلمنا ومعرفتنا، ولكن يستحيل أن يحدث الانفجار العظيم ثانية، أو سينكمش الكون، أو أن يُرتق في لحظة المفاجئة، ولن يأتي الأحد غدا كما هو متوقّع، وهذا الأمل يسري على المأمول؛ إذ ليس كلّ الآمال تتحقق وإن كان المأمول قابل للنيل.

ذلك لأنَّ المستحيل هو فعل يُفعل بغتة (في زمن المفاجئة)، وهو الذي يحتوي دائرة الممكن، والممكن لا يحتويه؛ فالممكن لا يكون إلّا وفقًا للاستطاعة، ولا يتحقّق إلّا على أيدينا، أمّا المستحيل؛ فهو ما لا تستطيع قوّتنا فعله، ولا أيدنا عمله، ولا عقولنا إدراكه ومعرفة كيفيّته. ومع ذلك؛ فمن الضّرورة التفكير فيه بعمق ودون ملل؛ فالملل يحول بين الحقيقة والباحثين عنها.

ولذا ينبغي على البحاث إن أرادوا معرفة المجهول، أن يصوغوا له تساؤلات؛ فالتساؤلات تقود إلى معرفة المجهول في دائرة الممكن، ومن ثمّ فالبحاث الذين يعتمدون على صياغة الفروض العلميَّة؛ لن يتمكّنون من معرفة المجهول، بل يتمكّنون فقط من معرفة النّصف المتبقي من المعرفة المتوفّرة لديهم؛ فالفروض وأن عظمت نتائجها؛ فهي لا تصاغ إلّا ونصف

المعلومة غير مجهول، وللضّرورة هم يبحثون بهدف معرفة ما يتمّم نصف ما لديهم من معرفة.

ولذلك وجب تقدير الشّطحات العلميَّة؛ فهي في دائرة الممكن قد تؤدّي إلى معرفة المجهول، أمَّا بالنِّسبة إلى ما هو مستحيل؛ فالشّطحات عندما تكون موضوعيَّة؛ فهي تمكّن من معرفته وإن قصرت عن معرفة الكيفيَّة التي هو عليها، ولكن عندما تكون الشّطحات غير موضوعيَّة؛ فهي بلا شكّ ستزيد الهوة اتساعًا بين ما هو مستحيل، وما ينبغي أن يتمكّن من معرفته وإدراكه.

ومن هنا فلا ينبغي أن تكون المناهج تدبُّرية مقتصرة على الوقت الحاضر، بل ينبغي أن تكون تطلّعية، تستوعب الحاضر تدبُّرا ولا تقتصر عليه؛ فالتدبُّر لا يكون إلّا وفق الإمكانات المتاحة في الوقت الحاضر، أمّا التطلّع؛ فهو البحث عمّا يُحدث النُّقلة إلى ما هو أفضل وأكثر ارتقاء.

ولذلك فالتّطلّع يُمكّن الآمل من مأموله كما يمكّنه من استقراء المستقبل وصناعته، ثمّ يمكّنه من تجاوزه ارتقاء، ومن ثمّ، إذا أردنا معرفة المستحيل وبلوغه استحالة؛ فلا ينبغي أن توضع إشارة قفّ أمام التفكير العلمي لبني آدم. بل ينبغي أن نفكّر فيما نفكّر فيه حتى ننجزه عملًا متحقّقا أمام المستحيل وآفاقه البعيدة، والذي بوجوده بعيدا عنّا يفسح لعقولنا مجالات التفكير فيه، والتمدّد تجاهه بلا موانع. أي: ينبغي أن نفكّر في كلّ شيء، وبكلّ حرّية مقدّرة، حتى نعجز، وحينها نعرفه مستحيلًا،

ولذا فلا مستحيل قبل العجز، ومن ثمّ فوجب البحث حتى بلوغ العجز الممكّن من معرفة المستحيل عن قرب؛ ولذلك خُلقنا.

ولأنّنا خُلقنا لذلك؛ فينبغي لنا أن نأمل ونعمل، والمستحيل نصب أعيُننا، حتى ندركه عجزا، وحينها ندرك إنّ الارتقاء إليه يمدّنا بالثّقة حيث كلّ شيء ممكن حتى وإن كان غير متوقّعٍ.

ولأنّه المستحيل؛ فهو لا يعيق العمل ارتقاء، بل الذي يُعيق العمل عن النّهوض، وإحداث النُّقلة، وبلوغ الارتقاء قمّة ونيل المأمول هو العمل الذي ينحدر بأصحابه في دونيّة الأخلاق وسُفليَّة التخلّف السياسي والاقتصادي والاجتماعي والإنساني: {وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى}[20].

فالإنسان الذي خُلق في أحسن تقويم، هو الإنسان المقوّم للارتقاء، وليس للدّونيَّة، ولكن لأنّ الارتقاء والدُّونيَّة يتأثران بالمعرفة والتّخيير تذكُّرًا وتدبُّرًا وتفكّرًا؛ فهما بيد الإنسان رغبة واختيارا؛ ولذلك ينبغي على بني آدم أن يأملوا ويعملوا كلّ ما من شأنه أن يؤدّي بهم إلى إحداث النُّقلة الممكّنة من معرفة المستحيل وبلوغه ارتقاء.

وعليه:

[20] الكهف 88.

فالفعل المستحيل لا يكون إلّا خَلقًا، ولأنّه كذلك؛ فلا يكون إلّا إعجازًا، حيث لا إمكانيَّة لخلق الشَّيء شيئًا إلّا بمشيء، وحتى إن عُدنا لذلك التّساؤل الذي كنّا نطرحه على أنفسنا أيّام المراهقة والثَّانوية، وهو:

من الذي خلق الخالق؟ وكيف كان قبل أن يخلق ما خَلق؟

أقول:

بما أنَّنا نقول الخالق، إذن: فلا ينبغي أن نسأل عمّن خلق الخالق؟ أي: كيف لنا من زاوية نقول الخالق، ومن زاوية أخرى نسأل عنه؟

إنَّه الخالق الذي يخلق ولا يُخلق، ومن ثمّ فكلّ شيء يُخلق فهو ليس بالخالق؛ ولذا فلا فواصل بين الخالق وخَلقه؛ فالخالق ليس على الصُّورة ليكون موجودا قبل أن يخلق الخلائق؛ ولذلك فالسُّؤال ليس في محلّه، لأنَّ السّائل جعل في ذهنه هيئة للخالق، وهنا تكمن العلّة، حيث لا هيئة للخالق، بل له مشيئة، والمشيئة هي فعل المستحيل، والتفكير في الفعل المستحيل يجعل السّائل في حيرة من أمره بعلّة في نفسه وهي: اختلاط فكرته عن الخالق الذي لا يُصوّر بما هو على هيئة الصُّورة، وبالتّالي فمن يتصوّر لله هيئة، يجعله وكأنّه داخل الإحاطة، ومن يفكّر داخل الإحاطة؛ فتفكيره لا يزيد عن كونه تفكير كتكوت داخل البيضة، والذي لا إمكانيَّة له في رؤية عالم أعظم من عالمه داخل البيضة؛ ولذلك؛ فهيئة الله بلا هيئة، وصورة الله بلا صورة. ومن هنا؛ فنحن غير عاجزين عن معرفة الله، ولا يليق بنا أن نسأل عمّن بيده الأمر (كن): كيف كان؟

نعم الله لم يكن، حتى نسأل عنه كيف كان؛ فمثل هذا السُّؤال يتعلّق بمن لم يكن فكان؛ كما هو حال الكون الذي كما يقولون عنه كان نتاج ذلك الانفجار العظيم سببًا، وكما هو حال الأزواج التي لو لم تكن الأرض كائنة ما خُلقت منها الأزواج سببا، وغيرها كثير من الخلائق التي قبل خلقها لم تكن بخلائق.

ومن هنا فلا ينبغي أن يكون السُّؤال: كيف كان الله؟

بل ينبغي أن يكون السُّؤال: من هو الله؟ وما هي صفاته؟

فالله هو الذي يُسمّى بهذا الاسم، وهو الذي لم يكن كائنا، حتى يسأل عنه كيف كان؛ ولذلك فالكائن لا يكون إلّا على هيئة يراد له أن يكون عليها؛ فيكون. وبالتالي فأيّ كانٍ لا يكون إلّا على هيئته ووفق مشيئة ليست بيده، ومن هنا؛ فنحن ندرك الكون علمًا، ولكنَّا لا ندرك هيئته، وكيف لنا بهذا ونحن لم ندرك صورة الكون متكاملة؟ أي: كيف لنا بهذا ونحن داخل محيط الكون الذي لم نتمكّن بعد من الخروج عنه بأيّ سبب، ومع ذلك يمكن لنا أن نتصوّر الكون باعتبارنا جزيء فيه أو حتى إنّنا أقل من ذلك بكثير، أمّا الخالق فهو على غير هيئة؛ كونه على غير صورة، وبالتالي لا إمكانيَّة لوضعه في أيّ هيئة ذهنية، ولا يليق بعقولنا ومدركاتنا التي أدركته استحالة أن تجعله على هيئة أو صورة وهو لم يضع نفسه فيها؟

ومن ثمّ فالله يخلق غيره، وغيره لا يخلقه، وبالعودة إلى السُّؤال: كيف كان الله؟

فالله لا يكون.

ومن هنا فالسُّؤال لا علاقة له بمن يُسأل عنه. بل له علاقة بالسّائل، الذي لا يعرف من كينونته إلّا أنّه من نطفة ومن قبلها من تراب، ولا شيء غير ذلك، ومع ذلك يسأل: كيف كان الله؟

أي: ألا يكفي إجابة أنّه يعلم أنّه قاصر عن معرفة كيفيّة خلقه التي ليس له رأي فيها؟ ويسأل عن كيف كان الله؟

أقول:

عليك بالبحث في الكون بلا توقّف لعلّك تعرف: كيف خُلق، وكيف كانت له هيئة قبل أن يُخلق، ووفق أيّة مشيئة هو خُلق؟ وكذلك عليك بالبحث في نفسك لعلك تعرف: كيف خُلقت، وكيف كانت لنفسك هيئة قبل أن تُخلق؟ ووفق أيّة مشيئة هي خلقت؟ وعليك أن تفكّر فيما تفكّر فيه قبل أن تتكلّم وتقرّر أو تعمل؛ فإن فعلت ذلك عن وعي، لا شكّ إنّك ستدرك أنّ صفات الله تتعدد بتعدد نعمه، وهو الواحد الذي لا يتعدد.

الأملُ ليس المعجز:

المعجزُ ليس الصَّعب كما يظن البعض، فالصَّعب لا يكون إلّا في دائرة الممكن، أمّا المعجز ما ليس في الإمكان، إنّه بأمر الله يحدث على أيدي الأنبياء عليهم الصّلاة والسّلام، ولهذا لا ينجز عملًا، ولا يتحقق غرضا، ولا يبلغ غاية، ولا يتم نيله مأمولًا.

ولأنَّ فعل المستحيل بيد الخالق؛ فالخالق لو لم يفعل مستحيلًا، ما نشأ الخلق وجودا مُعجزا، وما أمكن للإنسان ارتقاء. إنّها حلقات متداخلة (خلق، نشوء، ارتقاء)، ولا يمكن أن تستقل حلقة

وهذا الأمر ينبغي أن يلفت نظر الإنسان إلى أهمية الأرض كونها الأم الأوَّلى، والوطن الأوَّل، الذي فيه بني آدم إخوة مختلفون، ولِمَ لا يظلون إخوة مختلفين؟ فالاختلاف مشيئة الخالق في خلقه، وليس عيب أخلاق، بل العيب الذي ينبغي أن يُجنّب هو الخلاف الذي بأسبابه تقاتلا ابني آدم إذ سيطرة الشَّهوة والرّغبة الشَّخصانيَّة على أحدهما؛ فأقصى أخاه ثمّ قتله.

ولأنّها العلل المفرّقة بين الإخوة ألما؛ فَلِمَ لا تُقبر بيدٍ واحدة، وعن قلبٍ واحدٍ، ويترك المجال ارتقاء لنشوء المودّة والتوافق بين بني آدم، من أجل البناء نموّا يطوى الهوة بين الأرض والسّماء عملًا لا اتكاليَّة فيه من أحدٍ على أحدٍ.

ولأنّ النّشوء منبت الحياة نموّا معجزا؛ فهو لا يتوقّف خَلقا، ولأنّه كذلك؛ فَلِمَ لا يكون أيضًا لا يتوقّف ولا يتخلّف على أيدي بني آدم، تعليمًا، وصحّة، وزراعة، وصناعة، وبناء وإعمارا، وإصلاحا، وغزوا للفضاء حتى بلوغ الحلّ الممكّن من بلوغ الجنَّة نعيما وفردوسًا.

ولأنَّ العلاقة بين الخَلق، والنّشوء، والارتقاء علاقة ارتباطية؛ فهي مثل علاقة (الأرض والبذرة والسّماء)؛ فالبذرة لو لم تُبذر أو تُغرس في الأرض ما نبتت ونمت على ظهرها ارتقاء في اتجاه السّماء وكأنّها تأمل بلوغها غاية.

ولأنَّ العلاقة بين الخَلقِ والنّشوء والارتقاء، علاقة بين مستحيل ومعجز وممكن؛ فهي علاقة اعتمادية بين السّابق (الخَلق)، والتابع (النشوء)، واللاحق (الارتقاء)، ولذلك وجبت المعرفة على اللاحق، لكلِّ تابع لما قبله سابق، ممّا يجعل الماضي البعيد هو المستقبل بعينه، أي: لو كان أبونا آدم على قيد الحياة وسألناه، ما هو المستقبل المأمول؟ لقال: تلك الجنَّة (ذلك الماضي الّذي نشأ فيه ارتقاء قمّة ورفعة).

ومن هنا فإنَّ التفكير في المستقبل يربط المفكّر وما يفكّر فيه بالماضي المأمول، ومع أنَّ الزَّمن في أذهاننا مقسّم بين ماضٍ وحاضرٍ ومستقبلٍ، ولكن التفكير تدبُّرًا في الوقت الآن لا يمكن أن يفصل مستقبل آدم المأمول عمّا نشأ فيه يقينا؛ ولذلك فالزَّمن الحاضر كما يربطنا بما جرى أملًا؛ فهو يربطنا بما نأمل الارتقاء إليه، سواء أكان المأمول قد حدث في الماضي، أم أنّه سيعود إلينا ثانية.

ومع أنَّ خلق آدم وزوجه كان خلق قمّة في أحسن تقويم، ولكن آدم وزوجه انحدرا عن تلك القمّة باختيارهما، ومع ذلك عندما عرفا إنَّ العلّة قد ألمت بهما وكانت من وراء انحدارهما هبوطًا دونيًّا، ندما واستغفرا لذنبهما؛ فتاب الله عليهما، ومن هنا، نشأ لديهما أمل العودة إلى تلك القمّة الماضية وهي بالنِّسبة إليهما هي الأمل المفقود، ولكنّ هذا الأمل المفقود لا يمكن أن يبلغ إلّا بالعمل ارتقاء.

وهنا يتداخل الزَّمن؛ فما يأمله آدم وبنوه المصلحين هو: تلك الجنَّة التي خُلق فيها آدم وزوجه، ولكن كيف تكون تلك الجنَّة هي الماضي، وتكون هي المأمول ذاته في المستقبل؟

أقول:

الجنَّة خُلقت وجودا في الكون المرتق إذ لا وجود للأيّام، بل هناك اليوم الواحد (اليوم الآخر) الذي لا وجود للظُّلمة فيه، حيث لا مجال للشّروق والغروب، ولأنّه كذلك؛ فلا وجود للماضي والمستقبل، بل الوجود للحاضر، ولا شيء غيره.

فالمخلوق عندما ينتهي من الوجود الحي، ليس له من الأيّام إلّا الزَّمن الحاضر، وكذلك عندما يُبعث حيّا لن يجد شيء مسجّلًا إلّا في الزَّمن الحاضر الذي وحده سيكون الشّاهد الأوَّل على الأعمال ثقيلها وخفيفها.

ولذلك فكلّ حياة الإنسان هي زمنٌ حاضرٌ، وكلّ ما يعمله الإنسان فيها، ويتمّ استدعائه من الذَّاكرة لا يكون إلّا حاضرًا في الزَّمن الحاضر. أي: كلّ شيء يُفعل أو يُعمل لا بدّ أن تسجله الحياة في صفحاتها حاضرًا.

فالزَّمن دائرة، نقطة بدايتها تتمثّل في كلّ نقطة من نقاطها المتّصلة، التي عندما يوضع الأصبع على أيّ منها تعد هي مركز منتصفها، وفي ذات الوقت تعد نقطة نهايتها، وهنا، يعد الزَّمن كلّه حاضرًا، أمّا الأعمال في الزَّمن؛ فهي الشّاهدة على من يقوم بها، ولهذا؛ يموت العاملون وتبقى أعمالهم حاضرة حيث لا وجود لماض يقبرها، بل الماضي يحفظها حاضرًا.

ولذلك فالنَّاس يحدّدون أهدافهم، ثمّ يعملون على إنجازها أو تحقيقها وبلوغ الغاية التي من ورائها، مع العلم أنّ الزَّمن بين تحديدها وبلوغها يحتاج إلى أعوام، وهذا يعني: أنَّ زمن تحديد الأهداف لم يكن زمن تحقيقها، ولا تحقيق الغاية التي من ورائها، ولم يكن زمن نيل المأمولًات مع أنَّ الزَّمن الذي حُدّدت فيه قد أصبح ماضٍ، وهو في ذات الوقت بالنِّسبة إلى إنجازها أو بلوغها لا يعد إلّا مستقبلًا.

ومن ثمّ فتلك الجنَّة بمقاييس زماننا هي ماضٍ، ولكن إن سلّمنا بذلك، ألا يعني أنّ الماضي سيظل ماضٍ ولن يعود؟ وإذا كان كذلك؛ فلا أمل فيه، ممّا يجعل التسليم به، وكأنّنا نقول: لا وجود للجنَّة في المستقبل.

ولهذا فمن يعمل، ثمّ يزداد نموّا وارتقاء؛ فلن يبلغ جنَّة غير تلك الجنَّة التي هي حاضر آدم وزوجه، وهنا، نقول:

إنَّ الماضي المأمول هو المستقبل بعينه؛ فمن شاء بلوغه؛ فليعمل على مستقبل يربطه بالماضي ارتقاء؛ ولكن هذا لا يعني الاجترار، ولا يعني الالتفات إلى الورى، بل يعني: التقدّم تجاه المأمول نشوء وإبداعا منتجا لكلِّ جديد مفيد يرتقي بالنَّاس إلى تلك الجنَّة، وحيث ذلك الماضي الذي خُلقت فيه الأزواج، والتي كان آدم وزوجه على رأسها في أحسن تقويم (قمّة).

فالزَّمن متصّل بلا فواصل، وما يسمى بالماضي والحاضر والمستقبل، لا تزيد عن كونها فواصل من عندنا، وليس من عند الزَّمن؛ فالزَّمن هو الزَّمن حاضرًا، ولكن الأحداث التي تقع فيه تفصل بينها الأيّام التي بها تُعد السّنين، وفيها تُصنّف الأعمال بين من ثقلت موازينه من أجل العودة إلى تلك الجنَّة أملًا وارتقاء ومن خفّت موازنه انحدارا؛ حيث لا أمل له في ماضٍ لم يأمله مستقبلًا.

ولذا فَخَلق الكون مُرتقًا، ونشوء آدم وزوجه فيه ارتقاء، ثمّ انحدارهما منه والأرض هبوطًا، لا يلغي في دائرة الممكن أمل العودة إلى ذلك الكون متى ما تمّ رتقه كما كان أوّل مرة: {قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ}[21].

يُفهم من هذه الآية، إنَّ الخَلقَ والنشوء قد أوجدا كونًا أوَّلًا (كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ)، ثمّ أصبح الارتقاء فرصة، ولأنّه فرصة؛ فلا ينبغي أن تضيع من

[21] العنكبوت 20.

أيدي من سُنحت لهم، ولهذا فأوّل المغتنمين لها استغفارًا وتوبة كان آدم عليه السّلام؛ فتاب الله عليه بأمل العودة إلى حيثما كان عليه قمّة.

وبما أنَّ الارتقاء لا يكون إلّا حيثما توجد القمّة المأمولة؛ إذن: فلا ارتقاء إلّا إلى حيثما هي كائنة، ولأنّها قمّة كائنة وجودا؛ فهي وجود سابق على من يرغبها أملًا لاحقا، ومن هنا؛ فالزَّمن ليس هو ما نأمله، بل الذي نأمله، ما يحتويه الزَّمن وجودا؛ ولذلك؛ فالزَّمن هو الزَّمن؛ فحيثما كان الماضي يكون المستقبل حاضرًا.

ومن ثمّ فالأهداف التي تصاغ في خِطّة بحثيَّة في الزَّمن الحاضر هي الأهداف المأمول إنجازها في الزَّمن المستقبل الذي يوم أن تنجز فيه يكون هو الشّاهد (الحاضر) على إنجازها، كما كان هو الشّاهد حضورا يوم تحديدها وصياغتها.

فالكون الذي كانت بداية الخلق منه حاضرة، هو الكون الذي ستكون نهاية الخلق إليه حاضرة، أي: لا وجود لشيء إلّا في حاضرٍ. وبما أنَّ خلق الكون مُرتقا كان البداية، إذن: فالنّهاية لا تكون إلّا برتقه ثانية، (ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ) التي لا يمكن لنا معرفة كيفيّتها، لأنّ أمر معرفة الكيفيَّة الآخِرة مستحيل، ولأنّه أمر مستحيل؛ فهو خارج دائرة الارتقاء إليه ممكنا.

ولأنّه خارج دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع، فلا إمكانيَّة لتصوّره، ولا إمكانيَّة لمعرفة كيفيّته، ولذلك؛ فسيظل المستحيل مستحيلًا وإن علمناه مستحيلًا، {وَنُنْشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ}[22].

أي إنَّ نَشأة أخرى قد حُدّدت وستأتي لا محالة، وسينشأ الخلق عليها بعد أن ينتهي الكون تمدّدا وبأيّة علّة، والاستحالة هنا، هي التي لا تكون إلّا ممكنا بين يدي الله، حيث لا استحالة أمامه.

ومن ثمّ فبنو آدم يعرفون أنَّ أساس النّشوء الآدمي، هو من الأرض، وكذلك، هم يعرفون أنّ الأموات يتحلّلون وينتهون فيها أثرًا باليًا، ويدركون أنّ للحياة بداية ونهاية، ثمّ إنّ للموت نهاية (موت الموت)، ولهذا فالمؤمنون يعرفون أنّ من بعد النّهاية بداية أخرى على كيفية أخرى، ولا تكون إلّا مستحيلًا: (وَنُنْشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ).

ولذلك فلا نشوء خَلقي مُعجز إلّا وفعل الخَلق يسبقه، ولا ارتقاء خُلقي إلّا ونمو الخُلق منشأه، ومن هنا؛ فلا يلد الشَّيء المعجز إلّا من الشَّيء المعجز، وفي المقابل الخالق يخلق الشَّيء من لا شيء استحالة، كما هو استحالة خلق الكون وفتقه أكوانا.

ولأنَّ الخَلق هو فعل الوجود الأوَّل؛ فالنّشوء من بعده وجود آخر مُعجز، ومع أنَّه وجود آخر، لكنّه لولا الوجود الأوَّل ما كان شيء آخر، ولذا؛ وراء كلّ نشوء مُعجز نشوء من ورائه نشوء واستحالة: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا

[22] الواقعة 61.

الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ}[23]. فلو أجرينا مقارنة بين النّشوء الأوّل (الطّين) المعجز ثمّ (النّطفة) المعجزة، والنّشوء الآخر جنينًا متكاملًا معجزًا؛ فلا نشاهد علاقة، ولكن مشيئة الخالق شاءت أن تكون بداية النّشوء مرحلة قابلة للنّمو والارتقاء من حالة إلى حالة أخرى تختلف عنها مشاهدة.

ولذلك لولا الطّين ما نشأت الأزواج، ولولا الأزواج ما نشأت النّطفة، ولولا النّطفة ما كان المولود شيئًا آخر، وهنا يصبح الخلق بين أيدي النَّاس عجزا واستحالة.

ومع أنَّ بداية النّشوء لم تكن على الكثرة، فإنَّ نهايته لا تكون إلّا عليها؛ فالبذرة الواحدة نشوء تنتج أكثر من سُنبلة، وفي دائرة الممكن ارتقاء السُنبلة تمتلئ بذورا متعددة، وهذا يجعل عدد البذور المنتجة من البذرة الواحدة مئات، ولذلك فالتكاثر يتضاعف نموّا وكثرة ليُسهم في إشباع حاجات الإنسان المتطوّرة مع تطوّره عددا ومعرفة.

ومن ثمّ ينبغي أن يعمل بنو آدم كلّ ما في وسعيهم من أجل تحسين حالات النّمو، وتحسين أحوالهم إلى ما يجب بلوغه نشوء وارتقاء؛ فالإنسان الذي يعلم أنّه في دائرة الممكن قادر على أداء العمل الممكن من نيل

[23] المؤمنون 12 . 14.

المأمول؛ فلا ييأس من بلوغ غير المتوقّع نتيجة، ولأنّ دائرة الممكن لا تقتصر على المتوقّع فقط؛ فلِمَ لا ينتبه الجميع ويعملون على تحقيق غير المتوقّع تعليمًا، وإنتاجًا، وعدلا، ورفاهيّة، وغزوا للفضاء حتى اكتشاف الأكوان طباقا واكتشاف ما يضاف إلى المعارف الممكّنة من إحداث النُّقلة المأمولة.

ولأنَّ النّشوء الخلقي يؤسّس لنشوء مُعجز من بعده نشوء مُعجز، كما هو حال نشوء الأرض التي من بعدها نشوء الأزواج، ثمّ نشوء التزاوج من الأزواج كثرة؛ فينبغي أن تكون هذه معطية تلفت العقل الإنساني لينشئ من الأشياء أشياء أخرى تسهم في إشباع حاجاته المتطوّرة؛ إذ كلّما التفت الإنسان إلى الأرض معجزة، اكتشف شيئًا جديدا يمدّه بالمزيد المعرفي؛ فالأرض خامات وثروات ثمينة، تملأ ظاهرها كما تملأ باطنها، فمن بلغها نشوء وارتقاء معرفيّا تمكّن من تشييد المزيد نشوء حتى معرفة المستحيل وبلوغه مستحيلًا، وفي المقابل من تُلهه نفسه شهوة؛ فلن يجد نفسه إلّا على حالة من الانحدار والدُّونيَّة التي لا تزيده إلّا تقليل شأن.

فالإنسان الذي خُلق على قمّة النشوء ارتقاء، لو لم ينحدر بداية، لكان إلى يومه هذا على قمّة الزَّمن الحاضر في حُسن خَلقه وحُسن خُلقه. ولكنّ الغفلة قد أخذته؛ فعصى ربّه؛ فانحدر إلى ما لا ينبغي، ثمّ حاول النّهوض، ولكنّه لازال يحاول وهو بين أمل ويأس. أمل الارتقاء إلى ذلك الماضي، ويأس بلوغه بعلل الشَّهوة التي لا ترى الأنا إلّا مركزا على حساب الغير.

وعليه:

فالنّشوء إعجازًا لا يمكن أن يكون صفرا، بل الصّفر هو نقطة ما قبل وجوده أو نموّه؛ فالنّمو لا يبدأ إلّا من نقطة الصّفر، ولا ينتهي قمّة إلّا إليها، حيث التوقّف عن النّمو ارتقاء، أي: عندما يبلغ النّمو نقطة لا ينمو من بعدها شيء؛ تعد هذه النقطة صفرية حيث لا شيء من بعدها إلّا الاستحالة وهي النقطة التي لا شيء من بعدها إلّا الانحدار إلى نقطة صفر البداية.

ولهذا فحيثما كان الخلق كان النّشوء، وحيثما كانا (الخلق والنّشوء) كان الارتقاء، أي: لا ارتقاء بلا نشوء، ولا نشوء بلا خلقٍ، ولا خلق بلا خالق، ومن هنا، نميّز بين ما هو مستحيل إلّا بفعلٍ مطلق، وما هو نشوء إلّا بفعل معجز، وما هو أمل ممكن عمل واستطاعة.

فالنّشوء خلقٌ من خلقٍ، وإنبات من نبتٍ، وإعجاز من معجز؛ فالأرض عندما كانت مرتقة في السّماء كانت بيئة صالحة للإنبات بلا تكاثر، وهذه هي النشأة المعجزة (الأزواج) كما هو حال نشأة آدم وزوجه من تراب: {وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا}؛ فإنبات آدم وزوجه من الأرض كان ظهورا مشاهدا مثل النبتة بالتّمام، غير أنّ النبتة ذات جذور ضاربة في الأرض، أمّا آدم وزوجه فلا ضربا لهما في الأرض إلّا سلالة، ولهذا؛ فخطاهما، تمشي عليها استقامة قامة.

كيف تصنع أملًا:

ومع أنَّ الإنسان ارتقاءً خُلق مسيّرًا في أحسن تقويم، فإنّه اختيار الخدر في غفلة حتى أصبح أقل شأنًا عمّا خُلق عليه، وعندما لامس القاع سُفليَّة أخلاقيَّة أخذته الصّحوة والحيرة تملأ نفسه ندمًا؛ فاستغفر لذنبه؛ فتاب الله عليه، ولكن لم يتمّ ذلك إلّا بعد نفاذ الأمر وهو الهبوط به والأرض أرضا ومن هنا أصبحت تلك الحياة الخَلقية، التي خُلق فيها الإنسان الأوَّل (آدم) جنَّة لم تفارق عقله، وظلّ يأملها؛ حتى جاءت الاستجابة حافظة لأمله في العودة إليها ارتقاءً.

فبعد أن كان آدم قد خُلق على الارتقاء خلقًا، أصبح الارتقاء بالنِّسبة إليه مجرّد أمل، ومع ذلك فالأمل لا يتحقّق إلّا عملًا؛ فمن عمل من أجله بلغ مأموله، ومن لم يعمل؛ فلا ارتقاءً.

ومع أنَّ الأمل بالنِّسبة لبني آدم يرتبط بالمستقبل، فإنّه بالنِّسبة إلى آدم؛ فهو يرتبط بذلك الماضي الذي كانت فيه الأرض والسّماوات رتقا، ولهذا فالأمل بالنِّسبة إلى آدم هو العودة إلى تلك الجنَّة التي فقدت في لحظة غفلة.

ومن هنا فالأمل مع أنَّه من حيث المفهوم واحد، فإنَّه من حيث الدّلالة ليس كذلك؛ ولذا وجب التفكير في الزَّمن وضبطه بين ماض لن يعود وماضٍ يأمله آدم وبنوه الذين يعتقدون أنّ الجنَّة حقيقة على قيد الوجود؛ فتلك الجنَّة التي خُلق فيها آدم وزوجه قبل أن تُفتق الأرض من

السّماوات، ظلّت هناك في علوٍ، أمّا الأمل فظل منقطعا على الأرض التي أهبط بها ومن عليها من المختلفين والمتخالفين دُنيا.

وعليه:

. فكّر فيما تفكّر فيه حتى يصبح أملًا يشبع رغبة مرضية ولا تكون على حساب الغير.

. جمّع قواك العقليَّة والفكرية وخطّط بما يمكّنك من تفادي الصّعاب وأنت تعمل من أجل بلوغ المأمول.

. حشّد الإمكانات وعدّ العدّة المناسبة لبلوغ المأمول.

. انزع التردّد من نفسك وتقدّم قوَّة تصنع المستقبل.

. استعن بمن يمدّك قوَّة تُسهم في اختصار الزَّمن وتقليل الخسائر.

. اعرف أنّك كلّما أنجزت هدفًا، وجب عليك تحديد أهداف أخرى أكثر أهمية حتى تحدث النُّقلة إلى الأفضل المرتقب.

ولهذا فالارتقاء قمّة، هو: ما يُمكّن بني آدم من العيش الرّغد في الحياة الدُّنيا (الزائلة) وما يُمكنّهم من العيش السّعيد في الحياة العلّية (الباقية)؛ فبنو آدم لا يقصرون أملهم على الحياة الزّائلة، التي يصرّون على أخذ نصيبهم منها، بل يربطون أملّ عيشهم فيها بأمل العيش في الحياة الدّائمة، ومن هنا؛ فهم يعملون ويسعون إلى بلوغ المزيد المرضي ارتقاءً.

فالإنسان ينبغي أن يعيش والأمل لا يفارقه؛ فإن فارقه الأمل؛ فلا معنى للحياة؛ فالله خلق أبانا آدم في النّعيم ليعيش وبنيه حياة النّعيم، ولكن بأسباب الإغواء والمعصية أفسد حياته الباقية بالحياة الزائلة (الحياة المنقوصة) حيث الفقر والألم والفاقة والمرض والتعرّض للمفاجآت والموت، ومع ذلك وجب العمل الممكّن من بلوغ الحلّ رفعة وارتقاءً.

ولذلك ظلّ آدم وزوجه على الرّفعة الخلقيّة حتى أقدما على عمل المعصية؛ فانحدرا هبوطا من تلك الجنَّة على الأرض الدُّنيا، التي جُرِّدت من الصِّفات التي كانت عليها عُليا.

ومن هنا أصبح الصّعود للقمّة مطلبا وأملًا لمن فقد تلك المكانة، وبقي الخَلق الحَسن على ما هو عليه حُسنا، ولكن الأخلاق أصبحت على الاهتزاز تتبدّل من حَسنٍ إلى سيء، وكذلك من سيء إلى حَسن؛ {فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ}[24]. فآدم وزوجه شاءا أن يؤمنا وأمل العودة إلى تلك الجنَّة لم يفارقهما، ولكن بنيهما اختلفوا، بل تخالفوا على ما يؤدّي إلى الارتقاء، وما يؤدّي إلى الدّونية، حتى بلغ الاقتتال بينهم أشدّه. ومع ذلك فالإصلاح بين المختلفين والمتخالفين لم ينقطع، وكذلك العفو والصفح ظلّا جنبا إلى جنب مع القصاص الحقّ.

[24] الكهف 29.

فالإنسان ينبغي أن يعمل والأمل لا يفارقه، وعليه أن يعرف إنّ العمل ارتقاءً وحده يطوي الهوة بين الأمل وصاحبه وبين الحاجة المتطوّرة ومشبعاتها المتنوّعة.

ومع أنَّ آدم قد خُلق في أحسن تقويم، فإنّه قد خسر ذلك الارتقاء بمعصية منه، ممّا جعله استغفارًا يأمل الارتقاء عمّا انحدر فيه من سُفليَّة؛ فغفر الله له وتاب عليه بغاية الارتقاء إلى تلك المقامات العظام، ولكن الأمر لا يعدّ هينًا؛ حيث لا عودة إلّا بالعمل الصّالح الممكّن من الارتقاء إلى تلك القمّة التي أصبحت أمل آدم بعد أن كانت بين يديه.

فآدم بعد أن خسر تلك المكانة القمّة، عمل على الارتقاء إليها ثانية، ولكن ظل الارتقاء إلى تلك القمّة من قِبل بني آدم أملًا وعملًا؛ فمن يعمل صالحا يقترب منها، ومن يعمل باطلا يبتعد عنها؛ فالإنسان الذي خُلق على الارتقاء بداية، ثمّ انحدر عنه إرادة وشهوة، أصبح ثانية يسعى إلى العودة إلى القمّة، وهو يأمل أن تُرتق الأرض بالسّماء حتى يرى بأمّ عينه ما يأمله ارتقاءً.

وعليه:

.كلّما تكتشف أنّك على شيء من الخطأ؛ فاعرف أنّ معلومات خاطئة قد علقت بك؛ فتخلّص منها؛ فصحّح المعلومات الخاطئة بمعلومات صائبة ولا تتردّد.

. الخُلق وحده يمكّنك من الصّمود الموجب، وانعدامه يجعلك في سُفليَّة؛ فعليك بالخُلق ولا تفارق.

. الأخلاق تجعلك على الارتقاء وتمكّنك من بلوغ ما هو أكثر رُقيًّا.

. ثق في نفسك إن أردت التحدّي، ولا تلتفت لمن يريد إغواءك عثرة من بعد عثرة.

. أعمل والأمل لا يفارقك؛ فالإنسان بلا أمل لا فرق بينه وبين من خُلق في دونية.

. ضع الدّروس نصب عينيك؛ ولا تنس ذلك الدّرس الذي تركه لنا أبونا آدم عليه السّلام، فهو بعد أن عصى ربّه بأسباب الأكل من المنهي عنه، عرف أنّ ما يُنهى عنه لا يكون إلّا مخالفا للفطرة الخلقيّة (في غير مرضاة الخالق)، أي إنّ المنهي عنه، لا يكون إلّا لضررٍ، سواء أكان نفسيًّا، أم صحيًّا، أم خُلقيًّا؛ فآدم بعد أن أكل من تلك الشّجرة المنهي عن الأكل من ثمارها ندم وتألم، وظل على ما ألمّ به من ندمٍ وألمٍ حتّى غفر الله له ذنبه؛ ومع ذلك صدر عليه حكم الهبوط من الجنَّة ارتقاءً، إلى الحياة الدُّنيا على الأرض الدُّنيا.

ولذلك فبأفعال المخالفة والمعصية يتمّ استشعار الذّنب؛ فيلد النّدم والألم في نفس من يأمل الارتقاء عمّا وقع فيه من معصيّة، ومن ثمّ، ليس للإنسان إلّا أن يلتفت إلى نفسه استغفارًا وتوبة تخرجه من التأزّم إلى

الانفراج، وتعيده إلى حيث ما يجب أن يكون عليه ارتقاءً؛ فآدم بعد الهبوط على الأرض الدُّنيا لم يظلّ له أمل سوى أمل العودة إلى تلك الجنَّة التي خسرها بعلل الشَّهوة والرّغبة والإرادة.

ومع أنّ الزَّمن في أذهاننا مقسّما بين ماضٍ وحاضرٍ ومستقبلٍ، ولكن التفكير تدبُّرا في الوقت الآن لا يمكن أن يفصل مستقبل آدم المأمول عمّا نشأ فيه يقينا؛ ولذلك فالزَّمن الحاضر كما يربطنا بما جرى ارتقاءً؛ فهو يربطنا بما نأمل الارتقاء إليه، سواء أكان المأمول قد حدث في الماضي، أم أنّه سيعود إلينا ثانية.

ومع أنَّ خلق آدم وزوجه كان خلق قمّة في أحسن تقويم، فإنَّ آدم وزوجه انحدرا عن تلك القمّة باختيارهما، ومع ذلك عندما عرفا أنّ العلّة قد المت بهما وكانت من وراء انحدارهما هبوطا دونيّا، ندما واستغفرا لذنبهما؛ فتاب الله عليهما، ومن هنا، نشأ لديهما أمل العودة إلى تلك القمّة الماضية وهي بالنِّسبة لهما هي الأمل المفقود، ولكنّ هذا الأمل المفقود لا يمكن أن يبلغ إلّا بالعمل ارتقاءً.

وهنا يتداخل الزَّمن؛ فما يأمله آدم وبنوه المصلحون هو تلك الجنَّة التي خُلق فيها آدم وزوجه، ولكن كيف تكون تلك الجنَّة هي الماضي، وتكون هي المأمول ذاته في المستقبل؟

أقول:

الجنَّة خُلقت وجودا في الكون المرتق حيث لا وجود للأيّام، بل هناك اليوم الواحد (اليوم الآخر) الذي لا وجود للظُّلمة فيه، حيث لا مجال للشّروق والغروب، ولأنَّه كذلك فلا وجود للماضي والمستقبل، بل الوجود للحاضر، ولا شيء غيره.

فالمخلوق عندما ينتهي من الوجود الحي، ليس له من الأيّام إلّا الزَّمن الحاضر، وكذلك عندما يُبعث حيّا لن يجد شيئًا مسجّلًا إلّا في الزَّمن الحاضر الذي وحده سيكون الشّاهد الأوَّل على الأعمال ثقيلها وخفيفها.

ولذلك فكلّ حياة الإنسان هي زمنٌ حاضرٌ، وكلّ ما يعمله الإنسان فيها، ويتمّ استدعاؤه من الذَّاكرة لا يكون إلّا حاضرًا في الزَّمن الحاضر. أي: كلّ شيء يُفعل أو يُعمل لا بدّ أن تسجله الحياة في صفحاتها حاضرًا.

فالزَّمن دائرة، نقطة بدايتها تتمثّل في كلّ نقطة من نقاطها المتّصلة، التي عندما يوضع الأصبع على أيّ منها تعدّ هي مركز منتصفها، وفي ذات الوقت تعدّ نقطة نهايتها، وهنا، يعدّ الزَّمن كلّه حاضرًا، أمّا الأعمال في الزَّمن؛ فهي الشّاهدة على من يقوم بها، ولهذا؛ يموت العاملون وتبقى أعمالهم حاضرة حيث لا وجود لماض يقبرها، بل الماضي يحفظها حاضرًا.

ولهذا فالآمال هي ما يحتويها الزَّمن كلّه؛ فلا تقصر أمالك على المستقبل وحده؛ فهناك من الآمال ما قد أنجز، ممّا يستوجب الأخذ به عبرة وموعظة، أو العودة إليه كنز لا يفنى.

وعند ما تتاح لك فرص الاختيار؛ فلا تتسرّع، وكذلك لا ينبغي أن تتأخر؛ فلكلِّ حسابه؛ فلا تغفل.

وعليك أن تعرف أنّ زمن تحديد الأهداف ليس زمن حصاد نتائجها، فزمنها زمن الزراعة والبذر؛ ولذلك فالنَّاس يحدّدون أهدافهم، ثمّ، يعملون على إنجازها وبلوغ الغاية التي من ورائها، مع العلم أنّ الزَّمن بين تحديدها وبلوغها يحتاج إلى أعوام، وهذا يعني أنّ زمن تحديد الأهداف لم يكن هو زمن تحقيقها ولا تحقيق الغاية التي من ورائها، مع أنّ الزَّمن الذي حُدّدت فيه قد أصبح ماض، وهو في ذات الوقت بالنِّسبة لإنجازها أو بلوغها لا يعدّ إلّا مستقبلًا.

ومن ثمّ فتلك الجنَّة بمقاييس زماننا هي ماض، ولكن إن سلّمنا بذلك، ألا يعني أنَّ الماضي سيظل ماضيًا ولن يعود؟ وإذا كان كذلك؛ فلا أمل فيه، ممّا يجعل التسليم به، وكأنّنا نقول: لا وجود للجنَّة في المستقبل.

ولهذا فمن يعمل، ثمّ يزداد نموّا وارتقاءً؛ فلن يبلغ جنَّة غير تلك الجنَّة التي هي حاضر آدم وزوجه، وهنا، نقول:

إنَّ الماضي المأمول هو المستقبل بعينه؛ فمن شاء بلوغه؛ فليعمل على مستقبل يربطه بالماضي ارتقاءً؛ ولكن هذا لا يعني الاجترار، ولا يعني الالتفات إلى الورى، بل يعني: التقدّم تجاه المأمول نشوءً وإبداعًا منتج لكلِّ جديد مفيد يرتقي بالنَّاس إلى تلك الجنَّة، وحيث ذلك الماضي الذي

خُلقت فيه الأزواج، والتي كان آدم وزوجه على رأسها في أحسن تقويم قمّة.

فالزَّمن متصّل بلا فواصل، وما يسمّى بالماضي والحاضر والمستقبل، لا يزيد عن كونه فواصل من عندنا، وليس من عند الزَّمن؛ فالزَّمن هو الزَّمن حاضرًا، ولكن الأحداث التي تقع فيه تفصل بينها الأيّام التي بها تُعدّ السّنين، وفيها تُصنّف الأعمال بين من ثقلت موازينه من أجل العودة إلى تلك الجنَّة أملًا وارتقاءً، وبين من خفّت موازينه انحدارا؛ حيث لا أمل له في ماضٍ لم يأمله مستقبلًا.

ولذا فَخَلق الكون مُرتقا، ونشوء آدم وزوجه فيه ارتقاءً، ثمّ انحدارهما منه والأرض هبوطا، لا يلغي في دائرة الممكن أمل العودة إلى ذلك الكون متى ما تمّ رتقه كما كان أوّل مرة: {قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ}[25].

يُفهم من هذه الآية، إنّ الخَلقَ والنشوء قد أوجدا كونا أوَّلًا (كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ)، ثمّ أصبح الارتقاء فرصة، ولأنّه فرصة؛ فلا ينبغي أن تضيع من أيدي من سُنحت لهم؛ ولهذا؛ فأوّل المغتنمين لها استغفارًا وتوبة كان آدم عليه السّلام؛ فتاب الله عليه بأمل العودة إلى حيثما كان عليه قمّة.

وبما أنَّ الارتقاء لا يكون إلّا حيثما توجد القمّة المأمولة؛ إذن؛ فلا ارتقاءً إلّا إلى حيثما هي كائنة، ولأنّها قمّة كائنة وجودا؛ فهي وجود سابق

[25] العنكبوت 20.

على من يرغبها أملًا لاحقا، ومن هنا؛ فالزَّمن ليس هو ما نأمله، بل الذي نأمله، ما يحتويه الزَّمن وجودا؛ ولذلك فالزَّمن هو الزَّمن؛ فحيثما كان الماضي يكون المستقبل حاضرًا.

ومن ثمّ؛ فالأهداف التي تصاغ في خِطّة بحثية في الزَّمن الحاضر هي الأهداف المأمول إنجازها في الزَّمن المستقبل الذي يوم أن تنجز فيه يكون هو الشّاهد (الحاضر) على إنجازها، كما كان هو الشّاهد حضورًا يوم تحديدها وصياغتها.

ولأنَّ النّشوء في دائرة الممكن ارتقاءً يُمكّن من بلوغ الغايات؛ فالمزيد من التّأهب إليه يُسرّع بحركة إحداث النُّقلة مع تسارع امتداد الكون إلى النّهاية؛ ولهذا لن تستطيع تلك الأنظمة المعيقة للارتقاءً أن تصمد أمام التسارع ارتقاءً تجاه إحداث النُّقلة المأمولة، بل كلّ الأنظمة التي رَكِب أصحابها المصاعد إلى الأسطح، ولم يضعوا في حسبانهم أنّه لا نزول إلّا من خلالها؛ فهم صَعدوها بلا سلالم، وبقوا هناك إلى أن أُسقِطَ بهم أرضا.

ومن هنا كان الفأر أكثر فطنة وذكاء من تلك القمم التي صعدت وبقيت هناك حتى أسقط بها أرضا في الزَّمن غير المتوقّع؛ فالفأر ذات مرّة سُئل:

لماذا أيّها الفأر عندما تشعر بخطر تبدأ اللعب بذيلك؟

فقال:

ألا يكون من الأفضل لي أن العب بذيلي بدلًا من أنْ العب برأسي؛ فأنا عندما العب بذيلي أفكر، ولكن عندما ألعب برأسي يُلعب بي.

هكذا هي الرّؤوس بلا أمل يُلعب بها، وهكذا هي الفئران تفكّر؛ فتنجو، ولذلك فالعيش بلا أمل ممكن، ولكن لا حياة بلا أمل، ذلك لأنّ الحياة لا تكون إلّا والأمل يملؤها، أمّا العيش فلا فرق فيه بين حيوان وإنسان، ولكن ما هي الحياة أمل؟ ومن هو الإنسان أمل؟

أقول:

الحياة الأمل هي التي لا يهدّدها الزّوال، وهذه لا تُبلغ إلّا إذا تجسّد الأمل عملًا محفّز بالرّغبة والإرادة؛ ولهذا فمن يعمل من أجل بلوغها يصنع لنفسه أملًا لا يموت حتى يورّثه لمن خلفه.

أمّا الإنسان الأمل؛ فهو الذي يولِّد من الفكرة فكرة تخرجه ومن معه من التَّأزُّمات وتصنع لهم مستقبلًا يحدث لهم نقلة تمكّنهم من عمل الخوارق حتى يعرفوا أنّ المعجز معجز.

ولذلك فالواعون دائمًا هم السبّاقون والمبادرون بصناعة الأمل الذي يقرّبهم من رتق الأرض بالسّماء ارتقاءً.

وعليه:

. فكّر فيما يجب قبل وجوبه حتى تكون سبّاقًا قبل غيرك.

. اعرف أنّ الأمل لم يكن غاية، بل الغاية بلوغ المأمول؛ فاعمل من أجله إن أردته حقيقة بين يديك.

. تحدّى كلّ محيّرٍ حتى تتجاوزه معرفة، وتصبح السُبل أمامك بلا عوائق ولا معيقين.

. اصنع أملًا؛ فالأمل لا يصنع نفسه، ولا يأتيك من الغير، واعرف أنّ المسافة بينك وبينه وإن كانت بعيدة فهي غير مستحيلة.

. فكّر في نفسك حتى تستكشف نقاط ضعفها، لتتجاوزها قبل أن يشار إليك من الغير بما يمكن الإشارة به إليك إحراجا.

. اعمل بحيويَّة وتفاعل إن أردت القضاء على الملل المعيق لك من بلوغ المأمول.

. عرّف من لك علاقة بهم أنَّ الصّعوبات لا تصمد أمام الصّامدين في سبيل تحقيق أمالهم، وحفّزهم على التحدّي، ذلك لأنَّ قبول التحدّي لما يؤلم يمكّن من بلوغ ما يدخل البهجة.

. تجاوز بهم قصور التفكير عند المتوقّع رتابة إلى ذلك غير المتوقّع الذي تملأه الحيويَّة بما يرشد إليه من جديد أكثر وضوحا.

. لا تصدّق ما تسمع؛ فإنْ صدقت ما استمعت إليه وكأنّه المسلّمات فقد تقع في السُفليَّة والدُّونيَّة كما وقع فيها أبونا آدم عليه السّلام حينما غرّر به إبليس؛ فكانت النتيجة مؤلمة (خروجه وزوجه من الجنَّة).

. تأكّد أنّ وراء كلّ هدف أهدافا أخرى لا يمكن أن تعرف إلّا بعد إنجاز ما قد حدّد هدفًا.

. تأكّد أن وراء كلّ هدف من الأهداف التي تمّ تحديدها غرضا ووراء كلّ غرض أغراضا جديدة.

. تأكّد أنّ وراء الأغراض غايات، ووراء الغايات غايات أعظم منها؛ فلا تملّ ولا تقنط.

. تأكّد أنّ التقدّم خطوات فأسرع تقدّمًا دون التسرّع.

. اعمل على صناعة الأمل؛ فالأمل يصنع بلا يأس.

. تأكّد أنّك على القوّة، ولكن عليك بمعرفة أنّ قوّتك لن تخرج عن دائرة الممكن (المتوقّع وغير المتوقّع) ولهذا؛ فلا إطلاق لقوتك، ومن هنا يكون الضّعف والوهن، ومن هنا، يجب الاستعانة بالغير لاستمداد أفعال القوّة الممكّنة من إنجاز ما يفوق القوّة الفردية، ولذلك فالآمال العظام تحتاج لتكاتف الجهود، ولا استغراب.

. الأمل دائمًا لا يتحقّق إلّا بتهيؤ الآملين (تهيؤ نفسيًّا وعقليا وبدنيا وصحة وتعليمًا وتأهيلا وتدريبا؛ فعليك بمزيد من ذلك إن أردت بلوغ أمل عريضة.

. اعرف أنَّ الأمل لا يأتي إليك أبدا، بل الأمل تسعى إليه؛ فأسع فهو ممكن التحقّق، ولكن عملًا.

. بلوغ المأمول يستوجب عدة وإعداد لها، فعليك بإعداد العُدة الممكّنة من بلوغ المأمول.

. الأمل يستوجب حوافز ودوافع حتى لا يتسلّل الملل إلى العقل والقلب والنَّفس البشريَّة، وخير الحوافر والدّوافع (الرّغبة) حيث لا عمل ولا أمل بلا رغبة، ذلك لأنّ الأعمال والأمل بدونها تصبح أمنيات ليس إلّا. ولهذا فالأمنية شيء لا يستوجب الإقدام عملًا، أمّا الأمل لا يكون إلّا والعمل أداته تخطيطا وتنفيذا مع وافر الرّغبة.

. الأمل عمل يستوجب الاستعداد إليه تأهّبا وعدة وإعداد ومن ثمّ استعدادا يُمكن الآمل من بلوغ أمله.

. الأمل يستوجب متأهّبًا للإقدام على الفعل الممكن منه أملًا، وذلك من خلال تنفيذ ما رسم من خطّة أو استراتيجيَّة قد أعدت من أجل بلوغه.

ولسائل أن يتساءل:

الا تكون العلاقة بين الآملُ وأملهِ علاقة غاية؟

أقول: لا.

الأمل لا يزيد عن كونه شعور مرغوب، ولكنّه في حاجة لما يشبعه، أي: هناك علاقة بين الآمل وأمله، وهذا الأمر يجعل من الأمل حلقة وصل بدونه يكون اليأس هو ما تمتلئ به المسافة بين الآمل وما يمكن أن يكون

له من آمال، ولذا؛ فإن حدث ذلك؛ أصبح الفرد أو الجماعة في مراحل الأمنيات وليس في مرحلة الآمال.

إذن: وجب الارتباط بين الآمِل والمأمول بأمل لا يأس فيه، ومن أراد مزيد من الآمال؛ فعليه بمنابعها؛ فهي لا تستمدّ إلّا منها. إنّها الفضائل الخيّرة والقيم الحميدة التي يرتضيها النَّاس.

صنع الأمل يستوجب إرادة:

الإرادةُ امتلاك زمام الأمر بلا سُلطان خارجي، بها يتمكّن الإنسان من الاختيار الحرّ، وبدونها يُقهر، وهي الوعي بما يجب وبما لا يجب مع وافر الحرّيَّة، حيث لا إرغام من أحدٍ، ومن هنا؛ فهي منبع الأمل للذين يأملون بلوغ غاياتهم بلا تدخّلات على حساب القيمة والكرامة الإنسانيَّة.

والإرادة بدون تمكين الأفراد والجماعات من ممارستها تظل مفهوما مجرّدا ليس إلّا، ولهذا؛ فأهمية الإرادة هي أن تجسّد في الأفعال، حتى يتمكّن النَّاس من بلوغ ما يأملون عملًا وسلوكا، ومن ثمّ؛ فالتمكّن من الإرادة إرادي، أمّا التمكين منها فمسؤوليَّة من يتولّى مسؤوليَّة سواء أكانت أسريَّة أم اجتماعية أم وطنيَّة أم إنسانيَّة.

ولأنَّ الإرادة وعي بما يجب وبما لا يجب؛ فهي قرار يصدر للإقدام الاختياري دون إكراه على ما يجب أو ما لا يجب، مع تحمُّل ما يترتّب عليه من أعباء ومسؤوليَّات، والإرادة وثيقة الصّلة بالوعي بفعل يحقّقها

ويخرجها من المعنوي إلى المحسوس، الذي يُظهر العلاقة القويّة عن ثقة مع الموضوع الذي به ظهرت إلى حيّز الوجود المشاهد والملاحظ.

والإرادة في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع تكون مسؤولة وقد لا تكون؛ فعندما تكون مسؤولة عن الأخذ بالبديل تحقّق للفاعل وللموضوع الاعتبار والاعتراف والتقدير، وعندما لا تكون مسؤولة عن اختيار البديل لا تحقّق لصاحبها الاعتبار ولا الاعتراف ولا التقدير، بل تحقّق له النّدم يوم لا ينفع.

فالإرادة قرار يحمل مسؤوليَّة، والمسؤوليَّة لا تكون إلّا بوعي تام بما سيتحمَّله الإنسان مع وافر الرّضا بما سيترتّب على ما سيقدم عليه من عمل أو سلوك حيث لا إجبار من أحدٍ، ومن هنا؛ فالإرادة تمكين هي: منبع أمل لمن قوّضت حرّيته أو حرم من ممارستها بإجراءات تعسّفية من قِبل الغير.

ولأنَّ الإرادة تمكين فهي منبع أمل؛ فهي نتاج قرار قابل للتنفيذ، وهي بعد التنفيذ في دائرة المتوقّع تُمكِّن الإنسان من تحمُّل أعباء المسؤوليَّة دون تردّد، أمَّا الإقدام على الفعل بدون توافر الإرادة؛ فقد لا يحقّق للفعل إنجازا بأسباب الخوف والتردّد، وإن تمّ إنجازه إكراها فلن يكون مثالا.

والإرادة المسؤولة الواعية هي التي لا يتخلّى فيها الإنسان عن تحمُّل ما يترتّب عليها من أعباء جسام، ومن ثمّ فلا يترتّب عليها ندما، ولهذا؛ فلكلِّ شيء قاعدة إصلاحية واستثناء إفسادي. والاستثناءات هي التي

يقدم على أفعالها المارقون أو المنحرفون، وبخاصّة أولئك الذين يتربّعون على قمّة السّلطان ولا يحيدون عنه، وكأنّ الأوطان لم تنجب غيرهم من بني الوطن أو وكأنّ الشّعب (كلّ الشّعب) لا يوجد فيه أحد مؤهّل لممارسة الحرّيَّة.

ولذلك في مقابل هذه القواعد المنظّمة للممارسة الحرّيَّة تظهر الاستثناءات من قِبل الأنا (الشَّخصانيَّة)، ممّا يجعل مَنْ وضع نفسه على قمّة سلّم السّلطان مهيمنا على كلّ أمر سياسي واقتصادي واجتماعي في خانة الاستثناءات مطاردا، حتى وإن نصَّب نفسه شرطيًّا مدَّعيا سلامة الوطن والأمن العام وتنفيذ القوانين بحزم، أو حتى وإن نصَّب نفسه واعظا ومرشدا بما أنّه في دائرة الاستثناءات لن يكون إلّا مطاردا حتى النّهاية.

ولهذا فكلّما اشتدّت المطاردة واشتدّت التَّأزُّمات بين قاعدة الاعتبار وقمّة سلّم السّلطان، وهُدّد الآخرون بالموت من قِبل من هم في دائرة الاستثناءات، أصبح الموت عندهم مطلبا مع توافر الرّغبة، ولهذا؛ يفقد من هو على قمّة سلم السّلطان مكانته، ويفقد الشّرطي سلاحه، والواعظ حُجَته التي بها يلاحق الآخرين، ويكون كلّ منهم ضحية مستبدلا بلا ثمن.

وعليه فأنَّ الموت الذي هو سلب الحياة يتحوّل إلى قيمة مقدّرة إجابا بها يتمّ نيل الاعتراف والتقدير والاعتبار عندما يكون عملًا يرجو الإصلاح أملًا وارتقاءً.

والبعض من النَّاس يتصوّر أنَّ الإرادة هي حُسن الاختيار، لكن لو كان الأمر كذلك، لكان المسميان لمعنى واحد، والدّليل على ذلك أنّ الإرادة عندما تكون أمام أمرين فإنَّها تختار أحدهما أو تستبدله دون الآخر، وكذلك فإنَّ الإرادة عندما تتخذ قرارها يكون هذا القرار في اللحظة نفسها اتجاه هذا الأمر، أمّا الاختيار فيكون من أمور متعدِّدة يقع الاختيار على واحد منها يتمّ دفعه للإرادة التي تتّخذ قرارها فيه.

فالاستبدال إمّا أن يكون بين أمرين، أو بين اختيارين وفقًا لِما تمليه القيم، أو ما تمليه المصلحة، أو حتّى ما تمليه الأطماع، وإمّا أن يكون الاستبدال الإرادي من متعدّد البدائل؛ فالإنسان بإرادته الحرّة يستطيع أن يختار أو يستبدل ما يشاء وفقًا لتفضيلاته، أو وفقًا لِما هو أقلّ ضررا، أو لِما هو أكثر ضررا من غيره؛ فأصحاب الشرّ لا يفضِّلون غيره بإرادة، وأصحاب الحقّ والخير لا يفضّلون غيره، وهكذا كلّ شيء بإرادة، ومن بين هذا وذاك في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع، يستطيع الإنسان أن يُرتِّبَ بدائله وفقًا للمتاح مع مراعاته للظرف الزّماني والمكاني ولكلِّ خصوصيَّة لا تتطابق مع خصوصيَّات الآخرين وإن تماثلت معها.

ولأنّ العلاقة قويّة بين الإرادة والاختيار والرّغبة في الاستبدال، ودرجة التفضيل بين ما هو قابل للاختيار منه، أو قابل لاستبداله بالكامل، فإنَّ التقييم للاستبدالات أو الاختيارات والتفضيلات يُسهم في تهذيب الإرادة وتطويرها وتغييرها من أجل استبدال ما هو أفضل أو أنفع، وهكذا تتحسّن

الأحوال وتقوَّم من قِبل الواعين بما يجب وبما لا يجب لتكون السُبل ممهّدة تجاه غايات مستنيرة بالحقّ وموجبًات إحقاقه.

فالاستبدال الإرادي هو في واقع الأمر تقديري، بمعنى أنّه يقوم على تقدير الأنا للقيمة المفترضة، ثمَّ تقييم تلك القيمة وصولا إلى قرار الضّرورة الإرادية للاستبدال؛ فالتعويض مثلا، هو استبدال إرادي لفاقد يجب تعويضه لضرورة أو لرغبة أو حاجة[26].

ولهذا فالإرادة قرار اختياري يؤخذ بوافر الرّغبة تجاه كلَّ ما من شأنه أن يحقّق الرّضا في حدود الوعي بما يجب وبما لا يجب، مع تحمُّل ما يترتّب عليه من أعباء ومسؤوليَّات، ولذا فالإرادة وثيقة الصلة بالوعي بعزيمة تحقّقها وتخرجها من المعنوي إلى المحسوس الذي يُظهر العلاقة القويّة عن ثقة مع الموضوع الذي به ظهرت إلى حيّز الوجود المشاهد والملاحظّ.

والإرادة في دائرة الممكن قد تكون مسؤولة وقد لا تكون؛ فعندما تكون مسؤولة تحقِّق للفاعل وللموضوع الاعتبار، والاعتراف، والتقدير، وعندما لا تكون مسؤولة لا تحقّق لصاحبها الاعتبار ولا الاعتراف ولا التقدير، بل قد تضعه في السّجن أسيرًا بين الجدران، ومع ذلك لكلِّ مبرّره، والمهم في هذا الأمر بما أنَّها الإرادة؛ فهي المعبّر عن الحقيقة ولو تمَّ إنكارها اضطرارًا.

[26] عقيل حسين عقيل، الهوية بين متوقع وغير متوقع، ص 178 . 180

وعليه: ينتفي الإرغام والإكراه وكلّ أساليب الإجبار المهينة كلّما وعي الإنسان إرادة بما يعمل أو يفعل أو حتى فيما يفكّر ولِما يتهيأ ولمن يستعدّ؟ ومتى يتأهّب؟ وبماذا؟

فالإرادة هيّ: قيمة تحقيق المكانة التي يسعى النَّاس إليها، ممّا يجعل المستهينين بالآخرين مستهان بهم سواءً أكانوا على دراية بذلك أم لم يكونوا، ومن يجعل للآخرين مكانة يجد له عندهم مكانات، ومن يعتبر ويتّعظّ لن تكون له حاشية إلّا من المتّعظين، ومع ذلك في دائرة الممكن كلّ شيء متوقّع فلا داعي للغفلة، ولا داعي لاستغفال الآخرين، ولا داعي لسلب إراداتهم.

ولأنَّ الإرادة حقّ؛ فينبغي أن تمارس بحرّيّة في دائرة ترسيخ الفضائل الخيّرة والقيم الحميدة، ولأنّها حقّ ينبغي الاعتراف بممارستها، ولهذا يسعى الإنسان دائمًا لنيل الاعتراف لأجل تبوأ مكانة اجتماعية أو علميَّة وإنسانيَّة.

وهنا ينبغي أن نميّز بين الإرادة الفرديّة والإرادة العامّة؛ فالإرادة الفردية هي في حدود الخصوصيَّة التي تتساوى فيها مع خصوصيَّات الآخرين دون اختلاف وإن كان هناك تنوّع وتعدّد.

أمّا الإرادة العامّة؛ فهي التي يتمُّ توصيفها بصلاحيات واختصاصات تشريعية وقانونيّة، وهي القابلة للتقييم والتقويم وفقًا لمعايير موضوعيَّة متّفق

عليها بمقاييس الجودة. ذلك لأنّ الإرادة قرار يحمل مسؤوليَّة، والمسؤوليَّة لا تكون إلّا بوعي تام بما سيتحمَّله الإنسان مع وافر الرّضا بما سيترتّب عليه:

ولأنَّ الإرادة نتاج قرار قابل للتنفيذ؛ فهي بعد التنفيذ تُمكِّن الإنسان من تحمُّل أعباء المسؤوليَّة دون تردّد، أمَّا الإقدام على الفعل بدون توافر الإرادة قد لا يحقِّق للفعل إنجازا موجبًا أو لم يُنجز أصلا بأسباب الإجبار والإكراه أو بأسباب الخوف والتردّد.

ومن ثم فإنَّ الإرادة المسؤولة هي الإرادة الواعية التي لا يتخلّى فيها الإنسان عن تحمُّل ما يترتّب من أعباء جسام، ومن هنا فلا يترتّب ندم في نفس من أقدم على أدائها، ولهذا يكون لكلِّ شيء قاعدة إصلاحية واستثناء إفسادي.

ولذا فمن يقرّر أن يواجهك عن إرادة؛ فعليك ألَّا تستهين بالأمر؛ وعليك أن تعرف أنَّ الإرادة كفيلة بأن تُنجز في دائرة الممكن غير المتوقّع ما لم يكن في دائرة الممكن متوقعا[27].

الإرادة مصدر قوَّة:

الإرادة قوَّة، ومن يمتلكها يمتلك زمام أمره؛ فهي النشاط الواعي الذي يَقدم عليه الإنسان الحرّ عن وعي وإدراك سابقين لأجل بلوغ غايات بعزيمة وإصرار وبدون تردّد، ولذلك فاتخاذ القرار عن وعي وتنفيذه بكلّ وعي

[27] عقيل حسين عقيل، الإرهاب بين قادحيه ومادحيه، ص 39 . 43.

وتحمّل ما يترتّب عليه من أعباء يدلّ على ممارسة الفعل الإرادي بين الأفراد والجماعات والمجتمعات البشريَّة، ومع ذلك لا إرادة إلّا بقدرة وقرار، وتنفيذ، ومسؤوليَّة، وتهيئ نفسي.

ولهذا قوَّة الإرادة will هي التي تُمكِّن الإنسان من ممارسة الحرّيَّة.

وعليه فالقاعدة هي:

. قوَّة الإرادة.

. اتخاذ القرار.

. تنفيذ القرار.

. حمْل المسؤوليَّة.

. تنمية القدرة.

. التهيؤ النَّفسي.

والاستثناء هو:

. ضعف الإرادة.

. عدم المقدرة على اتخاذ القرار.

. عدم المقدرة على تنفيذ القرار.

. التخلي عن حمْل المسؤوليَّة.

. عدم تنمية القدرة.

. عدم التهيؤ النَّفسي.

قوَّة الإرادة تقوّي المناعة:

بما أنّ الإرادة تقوّي المناعة.

إذن: القاعدة هي:

. قوَّة الإرادة.

. قوَّة المناعة.

والاستثناء هو:

. ضعف الإرادة.

. ضعف المناعة.

وعليه:

وفقًا لقاعدة المتوقّع خذ بالقاعدة.

ووفقًا لقاعدة غير المتوقّع لا تهمل الاستثناء.

ولهذا؛ كلّما قويت إرادة العملاًء قويت مناعتهم.

فالمناعة immunity سياج دفاعي يُحصِّن الأفراد والجماعات والمجتمعات من الانهيار، والاستسلام لِما لا يجب. ولهذا على الأخصائي

الاجتماعي أن يعمل على تقوية مناعة العملاًء حتى لا يستسلموا للمؤثرات السّلبية.

لذلك على الأخصائي الاجتماعي، أن يستثمر قوَّة الإرادة من أجل تقوية بناء شخصية الفرد والجماعة والمجتمع على مبادئ وقيم تجعلهم على حالات من الاعتبار والرّقي في المهارة والمسلك، حتى لا يكونوا على حالة انسحاب وضعف ووهن وركون إلى كلّ سالب.

ولهذا يستثمر إخصائي التنمية البشريَّة والأخصائي الاجتماعي قوَّة الإرادة في تعطيل أنماط التفكير الخاطئة، وتنمية أنماط التفكير الصّائبة، التي تُمكّن الأفراد من أحداث النُّقلة إلى مستويات الطُّموح المتطوِّرة عبر الزَّمن.

ولذلك فقوَّة القرار تكمن في قوَّة الإرادة، ومن ثمَّ فقوَّة القرار تكمن في قوَّة اتخاذه بمسؤوليَّة، وكذلك تكمن في درجة الوعي والإلمام به وبالمعطيات التي تستوجب إقراره؛ ولذلك كلّ قرار يُتخذ سيظل نوايا وتصميمات مجرَّدة إلى أن يتمّ الإقدام على تنفيذه، حينها يصبح القرار نافذًا؛ وذلك بتماثل العزيمة والإصرار مع الإرادة الفاعلة.

ولهذا فالقاعدة هي:

- قوَّة القرار بإيجابيَّات.
- الإلمام بالمعطيات.
- التنفيذ الإرادي.

والاستثناء هو:

. ضعف القرار بسلبيَّاته.

. عدم الإلمام بالمعطيات.

. التنفيذ غير الإرادي.

ومن هنا فلا تحدث الأشياء إلا بقرار، ولا تنجز المهام والأعمال إلّا به، والقرار في دائرة الممكن المتوقّع هو الوعي بما يجب. أمّا في دائرة الممكن غير المتوقّع فهو عدم الوعي بما يجب. ما يجعل البعض يقدمون على أداء ما لا يجب. وهنا يفسح المجال أمام المتخصصين لممارسة أدوارهم المهنية.

امتلاكُ الإرادة امتلاك قرار:

ومع أنَّ كلّ شيء بقرار ولا شيء بدونه، إلّا أنَّ القرار لا يخرج عن كونه متوقّعًا أو غير متوقّع؛ ولهذا كل القرارات هي في دائرة (الممكن).

وبما أنّنا نعرف أنّ كلّ شيء يقع في دائرة الممكن، إذن: لا داعي للاستغراب.

وعليه: (كلّ شيء بقرار)، يساوي (كلّ شيء ممكن)، وبما أنّه لا مستحيل في دائرة الممكن. إذن علينا بقبول تحدّى الصّعاب دون خوف ودون تراجع.

وعليه: من لا يتحدّى الصّعاب لا يُمكن أن يكون له مستقبلًا نافعًا ورفيعًا، ومن لا يُسرع قوَّة وتدبُّر لتحدّي الصّعاب لن يجد له مكان ليضع قدميه عليه أمام الحركة السّريعة للمتنافسين، ممّا يجعل البعض على الرصيف جالسين في دائرة المستقبل.

ولهذا كلما كان القرار الإرادي قويًّا وكان تنفيذه قويًّا، تجاوز أصحابه العقبات التي تحول دون إحداث النُّقلة.

ولكي نتمكن من اتخاذ القرار عن وعي، علينا بمعرفة العلاقة التي تربط قوَّة القرار بقوَّة اتخاذه.

ولذا فقوَّة القرار تكمن في الآتي:

. ما يحقّقه وما يترتّب على إنجازه.

. قوَّة الالتزام بتنفيذه.

. استيعابه لكلِّ من يتعلق الأمر بهم أفرادا أو جماعات أو مجتمعات.

. استيعابه للمتغيّرات ذات العلاقة بالموضوع.

. تجاوز محققاته لِما كان متوقّعا.

. إحداثه للمفاجأة الموجبة التي تُحدث استغرابا لكلِّ من لا يتوقّعه.

أمّا قوَّة اتخاذ القرار فتكمن في:

. قوَّة القرار ذاته.

. قوَّة المعايير والقواعد والأسس والمبادئ.

. قوَّة التنفيذ.

. قوَّة الهدف.

. قوَّة الخطة.

. قوَّة إعداد البرامج.

. وضوحه والمستهدف من ورائه.

. الإصرار على تجاوز السلبيَّات.

. الاقتناع وعدم التردد بمبررات اتخاذه.

. بما يتركه من أثر موجب.

وعليه؛ فالإرادة وثيقة الصّلة بالوعي والفعل الذي يحقّقها ويخرجها من المعنوي إلى المحسوس بفعل مادّي إرادي، وحينها يصبح الإنسان مسؤولا عما فعل بإرادته سواء أكانت مسؤولة أم أنّها غير مسؤولة.

– الإرادة غير المسؤولة: هي التي لا تحقّق لصاحبها الاعتبار والاعتراف والتقدير.

– الإرادة المسؤولة: هي التي تحقّق للفاعل وللموضوع الاعتبار، والاعتراف والتقدير.

ولذا فلا إرادة دون موضوع واضح؛ ولذلك فبوضوح الموضوع تتحقّق الإرادة بالقوّة الدّافعة إلى الفعل بعد تهيّئ واستعداد وتأهّب.

فالإرادة مسؤوليَّة والمسؤوليَّة لا تكون إلّا بوعي تام بما سيتحمّله الإنسان لأداء ما يناط به من مهام: {إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا}[28]، ولنا أن نقول: إنّ الأمانة هي خلافة الله في أرضه، وهذه هي المسؤوليَّة التي تميّز بها الإنسان عن غيره من الكائنات، وليست العبادة فقط، لأنّ جميع الكائنات منقادة لله عابدة له تسبّحه وتقدسه، ومن ثمّ؛ فالإرادة تجعل الإنسان مسؤولا لأنّه لا بدَّ أن يكون على وعي بما يقدم على فعله[29].

وعليه: فالإرادة المسؤولة هي التي لا تكون إلّا عن وعي، وهي التي لا تحقّق النّدم لأصحابها، ولهذا فلكلِّ شيء قاعدة إصلاحية واستثناء إفسادي.

القاعدة الإصلاحية:

- الدّفاع عن العِرض.
- الدّفاع عن الوطن.

[28] الأحزاب 72.

[29] منطق الحوار ص 173.

- الدّفاع عن النَّفس.

- تعمير الأرض.

- نشر الوعي بقيمة الإنسان في الحياة.

- الحث على العلم النّافع.

الاستثناء الإفسادي:

- التفريط في الوطن.

. التفريط في النَّفس.

. هتك العرض إفساد.

. تخريب الأرض.

. تعميم الجهل.

ولهذا فالإرادة قوَّة تمكّن من حمل المسؤوليَّة ولكن وفقًا لصلاحيَّات واختصاصات مع وافر الوعي بما يجب، ووافر الإدراك تجاه ما يجب مع معرفة ميسّرة لحمل المسؤوليَّة عن إرادة ورغبة.

بلوغ المأمولُ

المأمول هو ذلك المرتقب وفقًا لخطة مرسومة، وأهداف مصاغة، وإمكانات متوّفِّرة، وهو لمراد بلوغه ونيله، وهو الذي يتحقّق ببذل الجهد، والإقدام على العمل تحدٍّ للصِّعاب، ومن ثمَّ لا يمكن نيله بلا جهدٍ يبذل.

ولذا فنيل المأمول تَمكُّنٌ مما كان مجرَّدَ أملٍ، بعد أن أصبح شاهدًا وماثلًا بين اليدين: (إنَّه العمل المنجز، والمكسب المتحقّق).

ومن هنا فزمن نيل المأمول هو المتجاوز لزمن الانتظار الذي لا بدَّ منه أثناء العمل والاجتهاد والسعي الحثيث تجاه الفوز بالمأمول، أي إنَّه الزَّمن الذي طويت فيه صفحات الترقُّب أملًا.

ولأنَّه المأمول قمَّة، فهو المأمول رفعة على حُسن القول، والفعل، والعمل، والإنتاج، وحسن الأداء، وحُسن القيم والأخلاق، وحسن السُّلوك، وحسن قمَّة المجد، وقمَّة الثقافة والحضارة.

وعليه: الأملُ اسمٌ، والمأمولُ مفعولٌ؛ وهذا يعني: أنَّ الاسم سيظل اسمًا مجرَّدًا، أمَّا المفعول، فهو القابل للتدبُّر، والمتجسِّد في الفعل والعمل، ولهذا لا ينبغي للإنسان أن يوهم نفسه بأملٍ لا يكون من ورائه مأمولٌ؛

إذن المأمول هو ذلك الشَّيء أيُّ شيءٍ كان عن قصدٍ وهو المراد نيله، أو الفوز به؛ كونه مرغوبًا، ويشبع حاجة، ويرضي إرادة، ويحدث النُّقلة.

ومع أنَّ الأمل هو ذلك الشَّيء المضمر في الصدور أملًا، فإنَّ المأمول غير ذلك، إنَّه مشبع الحاجات المتنوِّعة والمتغيِّرة والمتطورة، أي: إنّه خارج الصدور؛ لأنَّه مشبع الحاجة من خارجها، فعلى سبيل المثال: السَّجين عادةً يأمل الحريَّة، ولكن سيظل الأمل معه سجينًا، هذا على مستوى الأمل، أمَّا على مستوى المأمول أن يفك قيد السجين ويخرج من زنزانته إلى الحياة متفاعلًا مع مستقبل جديدٍ، فيه تتغيَّر أحواله من سجينٍ مستهلكٍ إلى طليقٍ منتجٍ أو مبدعٍ.

ولذلك فالمأمول هو الباعث الذي ولّده الأمل فكرة حتى أصبح شيئًا يتم بلوغه ونيله؛ ولأنّه مولود الفكر فهو للآملين مثل الوليد للآباء رعايةً وعنايةً، وحرصًا وعملًا جادًا، تحشّد الإمكانات وتبذل الجهود من أجل بلوغه، ثمّ نيله، والحفاظ عليه حفاظا على مولود من الأصلاب، دون أن يوقف الإنجاب من بعده؛ فالابن دائمًا في حاجة لإخوة، والآباء في حاجة للأبناء رحمة، وهكذا المأمول يتولّد من الفكرة والمشاهد مأمولًا من بعده مأمول.

وعليه فإنَّ زمن الأمل زمن الانتظار، أمَّا زمن المأمول زمن الإشباع، ولهذا فالمأمول لا ينجبه الانتظار، بل ينجبه الفكر المنظّم والعمل الجاد؛ فالانتظار لا عمل، ولا عمل يساوي نتيجة صفرية؛ ولهذا فالمأمول لم يكن المنتظر، بل المتوقّع كما هو، فإذا جعلنا المأمول منتظرًا فلا داعي للعمل؛

فهو المتوقّع الذي حُددت الأهداف من أجله، وَوَضحت الأغراض والغايات من ورائه، ورسمت الخطط والاستراتيجيَّات المؤدية إلى نيله.

ولأنَّ المأمول لم يكن المنتظر، فهو أيضًا لم يكن المرتجى؛ فالمرتجى لا سبيل لبلوغه إلّا من خلال الغير، الذي قد لا يستجيب لمطلب ولو توسّل المتوسّل، أمّا المأمول فلا انتظار ولا توسّل إلّا لله تعالى، إنَّه الاعتماد على النَّفس، والإمكانات المتاحة، والتي يمكن أن تتاح إرادة ورغبة وضرورة.

والمأمول لم يكن الجهد المبذول، بل ما يبذل من الجهد من أجل نيله (إنّه المترتب على الجهد الذي أنتجه شيئًا ملموسا) فالفلّاح على سبيل المثال: يحرث ويزرع وأمل الحصاد لا يفارقه، ولسائل أن يسأل:

لم لا يكون الحصاد مأمولًا؟

أقول: الحصاد جهد يبذل، وهو أمل الفلاح، أمَّا مأموله فهو أن ينال إنتاجًا وافرًا. فإن كان وفيرا نال مأموله، وإن كان غير ذلك فسيكون موسمه درسًا له لمواسم أكثر أملًا.

وعليه:

الأمل يحرّك الآمل ويدفعه، ونيل المأمول يطمئنه ويحفّزه على المزيد؛ فالآمل لا يقنط، والحياة الدُّنيا بالنِّسبة إليه مدرسة يجب أن يكون فيها ناجحًا ومتميّزًا إن أراد أملًا أعظم في حياة أعظم.

والمأمول وإن صعب فنيله ممكن، شريطة القيام بعملٍ موجبٍ، مع صبر على بذل الجهد والمثابرة، ثمّ تحدّي الفشل، مع العلم أنّ الفشل لا يكون إلّا بأيدي اليائسين، ولا يكون إلّا عن إرادة منهزمة لشخصيَّة لا تقبل التحدّي، وهذا لا يعني: أنّ المأمول صعب المنال، بل يعني: فقدان العزيمة (تصميمًا وإصرارًا) على حياة أفضل، والعزيمة لا تمنح، ولا تشترى، بل هي تستمدّ من العقل الذي يفكّر في أمره، وتحسين أحواله وضمان مستقبله، وهذه لا تكون إلّا بيد العقلاء، فمن له عقل لا يليق به ألا يستثمره ويوظفه فيما يفيد شخصه، ومن لهم علاقة به؛ فالذي اختار أمله غزو الفضاء، قد اختار الصَّعب تحدّ، فبلغ الفضاء غزوًا ومأمولًا، ومن ثم ثبت لنا أنّ الصَّعب لا يصمد أمام المتحدّين، أي: إنَّ الصّعاب لا تستسلم إلّا على أيدي المتحدّين؛ ولذا فلم لا نتحدّى؟

فالمأمول مع أنَّه باعث خارجي (خارج الفكرة) فإنَّه لا يكون إلّا خلقا أي: خلق (الشَّيء ولا شيء)، أو أن يكون مولود الفكرة؛ فعقل الإنسان لو لم يفكّر ما أنتج الفكرة، ولو لم يكن مستبصرا ما ولّد من المشاهد فكرة.

المأمول يتعدّد ويتنوّع وفقًا للحاجة والمطلب، وهو لا يُبلغ إلّا عن إرادة وجهد يبذل مع القبول بدفع الثمن، وقد يكون المأمول خاصّا وفقًا للحاجة والشَّهوة وهو كثيرٌ، وقد يكون عامًّا؛ كونه مأمولًا عظيمًا، وكلّ مأمول عام فيه منافسة، وقد يكون عليه الصراع، فرئاسة الدّولة مأمولة عند

كثيرين، والمنافسة الحرّة وفقًا للدستور وحدها الحاسمة، ولكن لا يمكن أن يكون الرئيس للبلد إلّا فائزًا واحدًا. ومع ذلك بعض النَّاس قد يحترم نتائج الدستور، وبعضهم قد لا يحترمها؛ فتنقلب المنافسة الحرّة إلى صراع دام، وهنا تكمن العلّة، وقد تحدث الانقلابات على الدساتير كرها، وهذه في معظمها أساليب لا تُحترم عند أهل الثقافة.

ولأنَّ الانقلابات لا تكون إلّا كرها؛ إذ لا دستور، فهي تحمل عناصر فنائها فيها ممّا يجعل بعد كلّ انقلاب انقلابات.

والتعليم مثال آخر على المأمول العام: فهو مع أنَّه عامّ، فإنَّه لا يكون على حساب أحد، وفيه يتنافس المتنافسون.

أمَّا الفوز بالجنَّة فيعد المثال الأعظم للمأمول العام، ومع أنَّها مأمول عام، لكنّ بلوغها والفوز بها لا يكون إلّا خاصّا؛ لأنّ نيلها نيل مكانة، مكانة تستوعب الجميع دون أن يكون أحدٌ على حساب آخر. وهنا لا مقارنة بين مكانة رئاسة الدولة التي لا تشغل إلّا مفردة، ومكانة أعظم تستوعب ما خلق مأوى ونعيمًا ومتعة، قال تعالى: {يَا قَوْمِ اعملوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ}[30].

[30] الأنعام 135.

ولهذا فالجنَّة مأمولٌ ولم تكن أملًا، فالأمل مولود الفكرة، أمّا الجنَّة فخلق الخالق، وهي متاحة لمن يشاء ويعمل من أجل نفسه ونيلها فوزا مع الفائزين.

ومع أنَّ المأمول عام (الجنَّة)، فإنَّ نيله لا يتم إلّا بجهد خاصّ؛ لأنّ العلاقة بين المخلوق المجازَى بها والخالق المجازِي بها علاقة خاصّة.

أمّا إذا كان المأمول عامّا والمطلب أيضًا عامّا؛ فالمثال الذي يمكن سوقه افتراضا: أنّ دولة ما قد تمّ احتلالها من الأجنبي، ففي هذه الحالة لن يكون لمواطنيها مأمول إلّا تحريرها، ومن هنا يصبح المأمول العام مطلبا عاما؛ ولا أمل للشعب كلّه إلّا تحرير وطنهم، فيعملون كلّ ما هو ممكن، حتى يتحرر كما أملوه مأمولًا.

وهناك ما يماثل هذه الأمثلة، من حيث إنَّ المأمول جمعيًّا والنوايا فردية؛ كالقيام بفريضة الحج المأمولة من المسلمين، غير أنَّ تأديتها لا يؤسّس إلّا على النيّة، وهذه لا تكون إلّا فردية، وكأنَّ الفرد حاج بمفرده، فينوي بنفسه حجّا، ثمّ يتقدّم مع الحجيج لأداء الأركان الأخرى، ومن هنا يندمج الأنا في الذات العامّة.

ولسائل أن يسأل:

- أين الأمل في هذا المثال؟

أقول: الأمل: تلك الحيويَّة التي هيأت المسلم لإعداد العدّة استعدادًا وتأهبًا حتى قام بأعمال الحج وناله من بعد غاية.

والآمل: المسلم المقدِم على أداء فريضة الحج.

أمّا المأمول: القيام بالفريضة على أتم وجه.

فالحج مع أنَّه مأمول عظيم لدى المسلمين؛ لكنّه يعدُّ عملًا يجب القيام به من أجل مأمول أعظم (الجنَّة) حيث النعيم الدّائم، أي: إنّ المسلمين يميزون بين النعمة والنعيم؛ فهم يعرفون أنّ الدُّنيا بيت النعم المتعددة والمتنوّعة، وأنّ الآخرة بيت النعيم الدّائم، وللتمييز: النعم فيها الأذواق تتعدد، وتختلف، وتنقطع، أمّا النعيم فلذَّةٌ دائمة لا تنقطّع، ولا يختلف عليها، ولا يتخالف، أي: إنَّ الجنَّة فيها النعيم بذاته، أمّا الدُّنيا فيها النعم تتحوّل فضلات. وهنا الفرق كبير بين النعيم لذة لا تنقطع ولا تنقص ولا تنتهي ولا يتعفّن نعيمها، وما يترك زبالة تشمئز الأنفس من رائحتها النتنة.

وعليه فإنَّ المأمول المطلق هو الفوز بنعيم الجنَّة، أمَّا ما دونه فهي مأمولًات في دائرة الممكن؛ ولهذا فالمأمول هو: المقصود في ذاته دون سواه، ليتم نيله استجابة لأمل عن رغبة، سواء أكان نسبيًّا أم مطلقًا.

المأمول لا يكون إلّا معلوما، والقصد إليه ثابتٌ، وإن أخذ العمر كلّه، فالمهم أن يبلغ وينال؛ فساعة نيلة وكأنّه لم يقض ما انقضى من وقتٍ، وساعة نيله وكأنّه كان غير متوقّعٍ على الرّغم من توقّعه.

وعليه فالمأمول:

. لم يكن خيالًا مجرّدًا.

. إنَّه نتاج العمل الجاد.

. يتم نيله والفوز به.

. يفتح آفاقًا جديدة أمام الآملين.

وعلى الآملين:

. التفكير الجاد؛ حتى يولّدوا من الفكرة فكرة.

. التعلّم؛ حتى يتعلّموا كيف يتعلّمون.

. أنْ يرفضوا؛ حتى لا يكون الرّفض غاية.

. أنْ يتقبّلوا دون أن يكون التقبّل مذلّة.

. أن يحترموا، حتى لا يصبح الاحترام جبنًا.

. أنْ يتفهّموا ظروف الغير دون أن يجعلوا مأمولًاتهم على حسابهم.

. أن يتكلّموا دون أن يصبح الكلِّام ثرثرة.

. أن يستوعبوا قبل أن تخلط الأوراق.

. أن يحاججوا؛ كي لا تتسع دوائر التُّبع.

الأملُ والمأمول في دائرة الممكن:

. الأملُ والمأمول: لا يمكن أن يكونا إلَّا ممكنٌ سواء أكان الممكن متوقّعًا أم غير متوقَّع، أي: إنَّهما ليسا بمستحيلين؛ ذلك لأنَّ المستحيل لا يتحقّق إلَّا إعجازًا من عند الله، أمَّا الممكن فميسّر التحقُّق لمن يعمل، وللتمييز أقول:

الممكن: هو الذي لا شك في حدوثه، أو ظهوره كلّما توافرت معطياته أو شروطه؛ ولهذا لا يعدُّ الممكن مستحيلًا، وبما أنَّه غير مستحيل إذن: بالضرورة سيقع وفقًا لما نتوقّع أو وفقًا لما لا نتوقَّع.

وتتكون دائرة الممكن من (المتوقّع وغير المتوقّع) التي تتساوى فيها فرص ظهور كل منهما وفقًا للفرض الصفري بنسبة ثابتة قدرها (50%)[31].

وعليه: فالممكن هو ما ليس بمستحيل ولا معجز، ومع أنَّه المتوفّر وجودًا فإنَّه يحتاج إلى مكتشفين ؛كونه يمتد من كامنٍ إلى مشاهدٍ، وهو الذي يمتد في الماضي منجزًا، ويستمر مع الحاضر يُنجز، وينتظر مستقبلًا لينجز، وهكذا يُكوِّن الممكن دائرة تحتوي المتوقَّع وغير المتوقَّع سالبًا وموجبًا، وسهلًا وصعبًا؛ ولهذا فالممكن لا شك في حدوثه، أو ظهوره كلما توافرت معطياته أو شروطه، وبما أنَّه غير مستحيل، إذن: فبالضرورة سيقع وفقًا لما

[31] عقيل حسين عقيل، الخدمة الاجتماعيَّة (مفاهيم ومبادئ)، المصريَّة للنشر والتوزيع، القاهرة، ص 177، 2019.

نتوقَّع، أو وفقًا لما لا نتوقَّع، وبما أنَّه ممكنٌ فهو من دون شك سيكون قابلًا للإنجاز أو التحقق أو البلوغ.

وعليه: لا امتداد، ولا حركة إلاّ في حدود الممكن؛ ولذلك يكون الممكن هو مجال الامتداد، ومجال الحركة والسُّكون في دائرة المكان والزمان، ولأنَّه ممكنٌ فهو متوقَّع الحدوث، وبعد حدوثه قد يكون مساويًا لما هو متوقَّع، وقد يكون أكثر أو أقل، وعليه: فالممكن ضروري الحدوث، ولكن نسبة حدوثه احتماليَّة مما جعلنا نفترض لها ثلاث احتمالات:

الاحتمال الأوَّل: يكون الممكن مساويًا للمتوقَّع.

الاحتمال الثَّاني: يكون الممكن أقل من المتوقَّع.

الاحتمال الثَّالث: يكون الممكن أكثر من المتوقَّع.

ولذا فما نشاهده أو نلاحظه ونحس به أو نتذوَّقه أو نشمه أو نسمعه هو الواقع في حدود الممكن؛ ولذلك يحدث الاختلاف في درجات تمييزنا لما يقع في مجال الممكن بالنِّسبة إلى مداركنا وقدراتنا وأحاسيسنا، فمنّا من يميّز بين الأشياء أكثر من بعضنا، وهذا يعني: أنَّ بعض لدبه قدرة تمييزه أقل، وبعض آخر يساوينا.

وعندما نتحدث عن الممكن فلا ينبغي لنا الإغفال عن غير الممكن؛ إذ لا وجود لغير الممكن بالنِّسبة إلى الله تعالى: {وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ

لَهُ كُنْ فَيَكُونُ}[32]، أمَّا بالنِّسبة إلى البشر فهناك الممكن، وهناك غير الممكن، والممكن في نضج القدرة، وغير الممكن في قصورها؛ ولهذا قد يتوقَّع المفكر ما هو ممكن، ولكنَّه قد لا يستطيع تحقيقه؛ نتيجة قصور إرادته وقدرته.

ولهذا يقع الممكن في الزمان الحاضر والزمان المستقبل، ولا يقع في الزمان الماضي؛ ذلك لأنَّ الممكن هو افتراض قابل للتحقق، وليس افتراضًا محققًا، فالمتحقق هو الكائن أو الكائنة، أمَّا الممكن فهو الذي لم يكن بعد، ولكنَّه سيتحقق في الآن، أو في المستقبل؛ ولهذا يكون الفرق واضحًا بين المتحقق ككائن، والممكن الذي سيتحقق.

وعليه: يمكننا الآن الحوار مع السُّؤال الذي طُرح منذ زمن بعيد في الفكر الفلسفي وهو: ما هو الأسبق في الوجود: الممكن أم الواقعي؟ وأجاب أرسطو على ذلك بأنَّ الواقعي أسبق في الوجود من الممكن معللًا ذلك بقوله: (إن الممكن يحتاج كي يوجد إلى واقعي يسبقه).

وعليه: من هذه الناحية نعم لولا وجود مصدر للأمر ما كان للأمر وجود أوَّل، ولكن من ناحية أخرى فالأمر السَّابق غير مطلق؛ مما يجعلنا نقول: لا يمكن أن تتواجد الأشياء ما لم تكن ممكنة؛ فالله سابق الوجود على الممكن، وكل ما تحقق من بعده وما سيتحقق هو الممكن بالنِّسبة إليه، والبشر كمحقق من هذا الممكن عندما يسعون إلى تحقيق ما هو ممكن

[32] البقرة 117.

من ناحية عقليَّة، يكون الممكن في هذه الحالة سابقًا على المتحقق ذهنيًّا أو إدراكيًّا، وهكذا يكون حال الممكن الإلهي الذي لم يُحقق بعد (لم يخلق) للمشاهدة والإدراك العقلي، بمعنى عندما يصدر الله أمرًا وهو الممكن لا بدَّ وأن يتحقق في الوقت المحدد له، وفي هذه الحالة يكون الممكن سابقًا على المحقق، ومن ثمَّ يصبح الممكن قرارًا معطياته مثبتة للتحقق، والتحقق فعل تنفيذ الممكن وهو الكائن أو الكائنة، والبشر لا يحققون إلَّا الممكن، أمَّا الله فيحقق الممكن والمستحيل والمعجز، فسبحان الله العظيم.

المتوقَّع: إنَّه الذي (بحدوثه، أو ظهوره، أو وجوده لا تحدث المفاجأة ولا الاستغراب).

ولهذا فمعطيات حدوثه المتوقَّع أو ظهوره متوافرة بين أيدي الباحثين، ما يجعل صحة إثباته (هو كما هو) وعليه: إذا ما وقع لا تحدث المفاجأة ولا الاستغراب. والمتوقّع يمكن أن يكون سالبًا، ويمكن أن يكون موجبًا وفقًا للآتي:

الموجب المتوقّع: كلّ قول وفعل وسلوك وعمل يترك أثرًا مرضيًا في نفس الأنا والآخر، والذين لا يأخذون حذرهم يقعون في هذا المربّع؛ ولذلك خططهم ترسم على موجب متوقّع، وكأن الحياة لا تُحفُّ بالمخاطر، وكأن العلائق بين النَّاس لا تبنى إلّا على الصّدق؛ ولذلك هم يفاجؤون.

أمّا السَّالب المتوقّع: فهو كلّ قول وفعل وسلوك وعمل يترك أثرًا موجعًا في نفس الأنا والآخر، من مظالم وعدوان، وخروج عن القيم الحميدة

والفضائل الخيّرة. والحذرون هم الذين يقعون في هذا المربع، ومع أنَّهم يتوقّعون وجود سالب ويعملون على تفاديه فإنّهم يقعون في الفخ.

غير المتوقَّع: إنَّه الذي لا تتوافر معطيات أو شروط حدوثه أو ظهوره بين أيدي البحاث، ومع ذلك يقع، مما يجعله في حالة تساوٍ نسبي مع المتوقّع في دائرة الممكن؛ ولهذا إذا ما وقع تقع المفاجأة أو الاستغراب.

ولذا يقع (غير المتوقّع) أو يحدث دون قراءات أو حسابات سابقة، أو نتيجة قصور في القراءات والحسابات السابقة على وقوعه، ما يجعله يقع (كما هو) إثباتًا.

ولهذا ينبغي أن يتم التعرف على غير المتوقّع، وعلى علله ومسبباته لاحقًا؛ ليتم التعرف على نقاط الغفلة أو القصور التي لم تؤخذ في الحسبان المسبق.

وعليه فالأمل حيويَّة بشريَّة تنبعث طاقة في الفكر المتأمّل أحواله، وما يدور من حوله، وما يجب أن يقدم عليه تجاه ما يتعلّق به من أمر، وهو لا يكون إلّا في دائرة الممكن[33].

أمَّا المستحيل: ما ليس بيد البشر، وغير ممكن الحدوث على أيديهم؛ فلا يُفعل من قِبلهم، ولا إمكانيَّة لبلوغه، ولكن لو لم يكن ما كنّا، ولأنّه كائن؛ فلا إمكانيَّة لتجاوزه، ولا إمكانيَّة للقفز عليه وكأنّه لا وجود. إنّه

[33] المرجع السابق، ص 220.

الحائل بين الممكن النّسبي (كلّ ما هو بيد المخلوق) والممكن المطلق الذي لا وجود للصّفر فيه وهو لا يكون إلّا بيد الخالق.

فالمستحيل لا يكون إلّا حيث لا تكون الإمكانيَّة، وهو ليس بالصَّعب؛ فالصَّعب هو تلك الأعمال التي تستوجب مزيدًا من الجهد دون أن تكون مستحيلة التحقّق؛ وهي التي تواجه من يأمل ولا تواجه الكسالى، وهي التي لا تصمد أمام المتحدّين لها صبرًا ومزيدًا من الثبات وبذل الجهد الممكّن من إنجاز الأهداف، أو تحقيق الأغراض، أو بلوغ الغايات ونيل المأمول أو الفوز به، فلا مستحيل في دائرة الممكن حتّى وإن كان الصَّعب يملأ نصفها، ومن هنا، وجب العمل على تذليل الصّعاب؛ كي تتيسّر الأمور ارتقاءً؛ فالصّعاب إن لم تداهم ارتقاءً، لا بدّ أن تداهم من لم يداهمها، وحتى لا يحدث ما لم يحمد عقباه ينبغي لنا تحدّي الصّعاب تهيؤًا، واستعدادًا، وتأهّبًا، وعملًا راقيًا تنجزه الإرادة والأمل لا يفارق.

ومع أنَّه لا صعب أمام مزيد من بذل الجهد ارتقاءً، فإنّه لا ارتقاء لخرق المستحيل، فمن المستحيل أن يكون الإنسان عالما بلا علم، وفي المقابل يمكن له أن يصبح عالما على الرّغم من الصّعاب.

ولأنَّ الممكن ارتقاء يُمكّن من تحدّي الصّعاب، فَلِمَ لا يتهيأ الإنسان إليها قوّة تدبُّر والأمل لا يفارقه، ممّا يجعل التهيّؤ للعمل لا مكان فيه للتردّد في نفس المتهيئ لأدائه أملًا؛ ولذلك فمن يتوقّع أنَّ أداء العمل ميسَّر فلا يستغرب إن واجهته صعاب تحول بينه وبين تنفيذه.

ولذا فالصَّعب يمكن بلوغه في دائرة الممكن غير المتوقّع، أمّا المستحيل؛ فلا إمكانيَّة؛ حيث وجود الصّفر بداية ونهاية.

ولأنَّ المستحيل لا يُوجِدُ نفسه ولا يخلقها، إذن فالخالق من ورائه، وهو القوّة التي لا تكون إلّا بيد القوي، الذي لا يُفعل المستحيل إلّا بأمره. ومع ذلك فالمستحيل أمر في ذاته، حيث يقف المخلوق عند حدّ لا يدرك من بعده شيء سوى الوجود، الذي لا يكون إلّا بفعل الفاعل الذي جعله وجودًا؛ فالفاعل لو لم تكن بيده القوّة المطلقة ما كان المستحيل فعلًا مستحيلًا.

ولهذا فلا مجال لأملٍ إلّا في دائرة الممكن، ولا إمكانيَّة لنيل مأمولٍ إلّا فيها، وهذه ما دون المستحيل والمعجز، حتى وإن كان المأمول المتحقّق نيله خارقة من الخوارق؛ فالخوارق لا تخرج عن دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع. أي: إنَّ الخوارقُ هي ولّادة ما لم يكن بالحسبان، وبها يتمّ تجاوز المألوف والمحتمل في دائرة الممكن غير المتوقّع من خلال تحدّي العقل البشري للكوابح والمعيقات، وهي نتاج المقدرة الذّهنيَّة ذات الرّؤية الثَّاقبة للمشاهد والملاحظ بغاية التعرّف عليه وعلى القوانين التي هو عليها، وعلى الكيفيَّة التي بها خُلق حتى التمكّن من معرفة المستحيل مستحيلًا.

فالخوارق تُصنع وتُبدع كونها على غير سابقة معروفة، فمن بلغها اختراقًا (تجاوز المألوف) وأظهر ما كان مجهولًا، أو مختفيًا لحيّز المشاهدة والملاحظة فيضيف جديدًا غير متوقّع لميادين المعرفة الواسعة. فالخوارق لو

لم تكن ممكنة ما كانت، ولأنّها في دائرة الممكن فهي ستتولّد خارقة ومن بعدها خوارق، وما الاستغراب الذي يصاحبها أو المفاجآت التي تلاحق وجودها إلّا بسبب كونها لم تكن متوقّعة.

والخوارق تُصنع؛ لأنّها تأتي عن غير قاعدة مألوفة، وعن غير معتاد ولا متوقّع، ممّا يجعل علامات الاستغراب والاستفهام والتعجّب توضع عليها، وعلى من اكتشفها أو جاء بها.

أمَّا الصّنع فهو إظهار ما لم يكن ظاهرًا، أو إيجاد ما لم يكن بين اليدين موجودا، أو إظهار الشَّيء الظاهر على غير ظهوره إبداعًا، أو استخراج الشَّيء من الشَّيء بطريقة أو أسلوب غير معتادٍ ولا مألوفٍ.

والصّنع أن يتمّ الإتيان بما لم يسبق لأحدٍ الإتيان به، وهو نتاج التفكير المفتوح؛ إذ لا سقف يحدّه ولا موانع تكبحه، أمّا الخارقة فهي بلوغ ما لم يكن متوقّعًا، والخوارق أعمال غير معجزة، أي: إنّها الممكِّنة، ولكنّها غير عامّة؛ فهي تحتاج إلى مقدرة عقلية تتجاوز ما يمكن تدبُّره إلى ما يمكن بلوغه؛ كونه لم يكن مستحيلًا ولا معجزًا. والخارقة تقود أصحابها فكرًا إلى الإبداع الممكّن من معرفة ما كان مستغربًا مع أنّ آمله غير ذلك؛ كونه قد صاغ له تساؤلات، وإن كانت بالنِّسبة إليه على غير عادة.

وعليه فالإنسان مؤهّل للارتقاء أملًا وحسًّا؛ فهو يتذكّر؛ ليتّعظ ويُصلح، ويتدبُّر؛ ليبني وينتج، ويفكّر؛ لإيجاد خارقة بها يصنع مستقبلًا راقيًا، يَرتق الأرض بالسّماء.

ولأنَّ صُنع الخوارق لم يكن مستحيلًا فَلِمَ لا تُصنع باستمرار تحدّيًا للعقل بملكاته العقلية؟ فالعقل دائمًا مَكمن الخوارق، فمن بلغ عقله عقلًا عن غير توقّع بلغ المعجز إعجازًا، ومن بقي في دائرة المتوقّع فلا إمكانيَّة لبلوغ الخوارق التي في النّهاية لا تكون إلّا في دائرة الممكن غير المتوقّع.

ومن ثمّ كان المستحيل كونًا متسعًا ومتسارعًا في تمدّده، وكان الأمل يلاحقه بغاية معرفته مأمولًا، ومع ذلك لا زال قاصرًا عن معرفته على الرّغم من الأمل العريض.

فالكون لو لم يكن عملًا مستحيلًا ما كان انفجاره أو فتقه عظيمًا، ومع أنَّ المستحيل شيء يتحقّق، لكنّه لا يوصف بشيء، أي: لو لم يكن المستحيل شيئًا ما تحدّثنا عنه، ولأنّه شيء ونتحدث عنه فهو يشغلنا حيرة تدفعنا تجاه معرفة مَن وراءه؛ فنحن نقف عاجزين أمام توصيف المستحيل الذي مهما تدبُّرنا أمره؛ فليس لنا إلّا التسليم، الذي يقرّ بوجود واجد له، ولا يكون إلّا أعظم منه؛ ومن ثمّ؛ فلا يوجد شيء، أو يخلق لو لم يكن من ورائه خالق.

ومن هنا افترق بعض قليل من النَّاس مع معظم النَّاس؛ فالقليل منهم وقف عند معجزة المستحيل في ذاته، أمّا معظم النَّاس فلا يؤمنون بعظمة المستحيل إلّا بعظمة فاعله المطلق الذي خلقه حائلًا لا يخترق مهما آمل الآملون.

ولأنَّ المستحيل نتاج طاقة وقوّة؛ فهو فعل يُفعل؛ فينتج عملًا قابلًا للملاحظة والمشاهدة، ولأنّنا نقف أمام المستحيل عاجزين؛ فَلِمَ لا نقف أكثر عجزًا أمام الفعّال له؟

فعلماء الفيزياء اكتشفوا أنّ الكون يتمدّد متسارعًا، وهم عاجزون عن إيقافه، بل هم عاجزون عن قياس سرعة تمدّده، كما أنّهم عاجزون عن معرفة نقط صفر النّهاية التي سيتوقّف عندها، ومع ذلك يرى بعضهم أنّ الكون يتمدّد متسارعًا، ولا شيء وراء تمدّده متسارعًا، أي: لا إله من ورائه، وكأنّه تمدّد بلا غاية.

ومع ذلك أجمع علماء الفلك والفيزياء على أنّ للكون نهاية، وليس له بدّ إلّا بلوغها، وهي الانكماش أو التجمّد أو الانفجار الذي ينهي تمدّده المتسارع ويقفه عند حدّه، أو يكون سببا في إعادة تشكيله من جديد، أو كما نرى نحن إعادة رتقه مع الأكوان الأخرى التي سبق وأن فُتقت؛ لتعود إلى حالتها الطبيعيَّة التي خُلقت عليها؛ عوضًا عن الحالة التي أصبحت عليها طِباقًا.

وبما أنَّ الفزيائيين واثقون من نهاية الكون؛ فالسُّؤال:

من الذي وضع له نهاية؟ ثمّ كيف وضع الكون لنفسه حدًّا كما يظنون وهو لم يصل إليه بعد؟

أقول:

كلّ ما قيل في هذه الخصوصيَّة؛ ليس بحكم علمي، بل مجرّد آراء لا تتعدي نظرات أصحابها الذين انبهروا بما رأوه من مستحيلًات حتى ظنوا أنّها الخالق؛ وهم بهذه النظرة، كمن لا يميّز بين الخالق وما خَلق. ولكن، وفقًا لقاعدة المستحيل المؤسّسة على خَلق الشَّيء من لا شيء؛ فلا شيء إلّا ومن ورائه مشيء، وسيظل الأمر: كلّ شيء من ورائه مشيء حتى بلوغ المستحيل الذي لم يكن من ورائه إلّا المستحيل الذي يؤدّي بالواعين إلى التّسليم الذي لا يجعل لآمالهم فسحة إلّا فيما دون المستحيل والمعجز.

ومثلما يكون وراء كلّ شيءٍ شيءٌ كما هو حال بنو آدم الذين هم من نطفة، وآدم من تراب؛ فكذلك يكون وراء كلّ مستحيل يشاهد ويلاحظ مستحيلٌ لا يمكن مشاهدته ولا ملاحظته، مع أنَّه يُدرك استحالة؛ فالمستحيل كفعل يتحقّق عملًا؛ فهو: مثل خلق الكون، والحياة والموت والشّروق والغروب، أمّا المستحيل كذات فلا يتجسّد في شيء يمكن أن يكون من ورائه شيء آخر؛ فيصبح التسليم به إعجازًا حيث لا شكّ في وجوده، المستحيلات تتحقّق بين أيدي النَّاس في كلّ جزئية من الزّمان ، ولا أحد يستطيع إيقافها أو الحدّ منها وإن عظمت آماله؛ ولذا؛ فمعرفة المستحيل تُمكّن من معرفة مستحيلًات أعظم حتى بلوغ المستحيل مستحيلًا.

فالكون الذي قالوا عنه خُلق من لا شيء ولا خالق من ورائه؛ فبقولهم هذا يعترفون بوجوده، والخالق من ورائه، وإلّا لماذا قالوا: (خُلق من لا شيء)

فكلمة (خُلق) تعيد أمر الخلق للخالق، وليس للشيء المشار إليه بأنّه قد خُلق من لا شيء.

ولأنَّ وجود الكون شيءٌ مستحيلٌ؛ فلا شكّ أن من ورائه ما هو أعظم استحالة، وهنا يكمن القصور بين إدراك المستحيل الأوَّل (الخالق) وما يراه المستحيل اللاحق (الإنسان) الذي خُلق مستحيلًا؛ فالإنسان مع أنَّه خُلق مستحيلًا، لكنّه لا يخلق المستحيل؛ ولهذا فالقاعدة:

(من يَخلق المستحيل لا يُخلق).

ولأنَّ من يخلق المستحيل لا يُخلق، والكون خَلق مستحيل؛ إذن: فالمستحيل (الكون) يُخلق وخالقه لا يُخلق؛ ولهذا كان خلق الكون مستحيلًا مثله مثل أيّ مستحيل.

والقاعدة الخلقية تقول:

(المستحيل قوّة تَخرِق ولا تُخرَق).

ولأنَّ المستحيل قوّة اختراق لكلِّ قوّة وإن اجتمعت، فقوّة الكون تمدّدًا وتسارعًا ستقف وتنتهي انكماشًا أو انفجارًا عظيمًا، أو رتقا أعظم، وهذا يدلّ على وجود مسيّرٍ للمستحيل، وموقف له، أو مفجّر، أو راتق له؛ حيث لا استحالة أمام الفعل المستحيل. وهنا تقف الآمال عاجزة، ومن ثمّ ليس لها إلّا التسليم.

ولذا فالتوقّف عند المستحيل عن وعي، يمكّن من عدم الوقوف عنده نهاية؛ فالمستحيل فعل لا يتحقّق إلّا وفق مشيئة فاعله، وهو الذي ينبغي أن يدرك بمشاهدة وملاحظة مستحيلًاته؛ حتى يدرك أنَّ إدراكه مشاهدة وملاحظة هو الاستحالة بعينها؛ ولذلك فالقاعدة الخَلقيّة تقول:

(المصوّرُ المطلق يرى ولا يُرى).

وعليه؛ فلا إمكانيَّة لرؤية المصوِّر المطلق؛ كونه لا يُصوَّر؛ ولهذا فخالق الشَّيء لا يمكن أن يكون الشَّيء؛ ذلك لأنَّ الشَّيء يُخلق، والمشيء لا يُخلق.

ولأنّ المشيء لا يمكن أن يكون شيئًا، إذن: فكيف للكون كونه شيئًا أن يكون مشيئًا لخَلق ذاته؟

هذا ما ارتأه بعض علماء الفيزياء الذين وقفوا على معجزات الخالق وكأنّها خالقة لنفسها، ومن لا شيء، وفي هذا الشأن وكأنّهم يقولون: نحن خُلقنا شيئًا من لا شيء، في الوقت الذي هم فيه يعلمون أنّهم قد خُلقوا من ترابٍ. وإلّا كيف يقبلون بخلقهم من تراب وهم يعلمون أنّ أباهم آدم لم يخلق نفسه، وهو من تراب، أي: بما أنّ آدم من تراب، ولم يكن ترابا؛ فمن الذي خلقه آدمَ؟

إنَّ هذه القاعدة تسري بالتّمام على خَلق الكون الذي قالوا عنه: إنَّه من ذلك الانفجار العظيم لتلك الذّرة التي لم يقولوا عن خلقها شيئًا، وهي

التي لو لم تُخلق ما كانت ذرة، وما انفجرت كونا عظيمًا كما يدّعون بلا دليل سوى وجود أثرٍ يشير إلى الانفجار، أو يشير إلى ما يشبه الانفجار، في الوقت الذي قال فيه الخالق تعالى غير ذلك: {أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا}[34].

وبناء على هذا القول تساءلنا:

أيّهما أولى: أن نأخذ بقول الخالق، أم أن نأخذ بقول المخلوق؟ ومع ذلك قبلنا قول المخلوق لنأخذ بقول الخالق.

فالخالق الذي خَلق الكون، وكوّر فيه النّجوم والكواكب كما كوّر منه الأرض التي خُلق الإنسان الأوّل من ترابها عندما كانت مرتقة في السّماوات جنَّة، قال: {اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ}[35]، فكيف بمن لم يكن سابقا على قوله تعالى، أن يقول: إنّ الكون خَلق نفسه؟

وكيف أقنع نفسه بذلك مع أنَّ ما بلغه من معرفة لم يكن ولادة أمل حتى يكون بين أيدي النَّاس دليلًا شاهدا في معامل ومختبرات البحث العلمي المتقدّمة؟

وإذا سلّم من سلّم بهذا القول؛ فسيجد نفسه في مواجهة مع خلق نفسه التي لم يخلقها. وبتسليمه هذا ليس له بدّ إلّا الاعتراف بأنّه لا إمكانيَّة

---

[34] الأنبياء 30.

[35] الزّمر 62.

أن يخلق الشَّيء نفسه. أي: كيف لمن يعرف أنّه خُلق من نطفة أن يقول شيئًا غيرها؟

ولأنَّ قاعدة الخلق تقول: (الشَّيء يُخلق ولا يَخلق).

إذن: فمن خُلق من نطفة ليس له بدّ إلّا استمداد قاعدة خلقه من شيء (تراب أو نطفة) ليستقرأ بها خلق الشَّيء الذي لا يمكن أن يخلق نفسه. إنَّها المسلّمة لمن يدرك أنّه لم يَخلق نفسه؛ لكونه يدرك خلقه من النطفة التي من قبلها يعلم أنّها لولا التزاوج ما كانت، وكذلك من قبلها يدرك أنّ أبويه (آدم وزوجه) لم يكونا من نطفة، وهنا تكمن العلّة التي قفز عنها بعض من علماء الفيزياء بقولهم: إنّ الكون خلق نفسه ولا خالق من ورائه.

ومع أنَّهم يؤمنون بخلق الأشياء، ولكنّهم عندما وقفوا عند أكبرها (الكون)، قالوا: إنّه شيء، ولكنّه خالق. وهذا ما يتعارض مع قواعد الخَلق:

. هيئة الشَّيء تسبق الشَّيء وجودا.

. وراء كلّ شيء مشيئة.

. وراء كلّ مخلوق خالق.

. الخالق يرى ما خلق، والمخلوق لا يرى خالقه.

ولذا فالكون لو لم يكن له مكوِّن ما كان كونا، والخَلقُ لو لم يكن من ورائهم خالق ما خُلقوا، والعلم لو لم يكن من ورائه العالم ما عُلّم: {وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا}[36].

وعليه:

فالمستحيل فعل، والفعل لا يشاهد ولا يلاحظ إلّا إذا تجسّد في عملٍ؛ ولذلك فالمستحيل طاقة تُمكّن من إيجاد ما لم يسبق وجوده؛ ومن ثمّ فالمستحيل فعل أوجد كونا متمدّدا ومتسارعًا في تمدّده، ثمّ خُلق منه، وفيه ما خلق مستحيلًا، وكلّ ما خُلق استحالة لا يُخلق ممّن لا يتجاوز جهده دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع وإنّ كان يأمل ذلك.

ولأنَّ الكون خُلق خَلقا مستحيلًا؛ إذن: فلا إمكانيَّة لخلق كون مثله إلّا من الذي خَلقه مستحيلًا، ومن هنا، استقرأ علماء الفيزياء والفلك، وجود أكوان أخرى خارج كوننا المتمدّد تسارعًا، ومع أنَّهم اكتشفوا معطيات تشير لذلك، فإنَّ ما هو أعظم: إنَّ الخالق قد أخبر عنها وضوحا، ويا ليتهم يطَّلِعوا على الكتاب؛ لعلّهم يرشدون إلى ما هو أعظم علما ومعرفة. {أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا}[37]؛ فقوله: (كيف خلق) هنا يكمن المستحيل حيث لا إمكانيَّة لمعرفة الكيفيَّات التي بها خلقت الأكوان طِباقًا، ولأنّ معرفة (كيف؟) أمر مستحيل؛ فأخبرنا الخالق

---

[36] البقرة 31.

[37] نوح 15.

عن (الكيف) بقوله: {أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا}[38].
أي: بعد أن كان الكون ملتحما سماوات وأراضين، فُتق مستحيلًا إلى سبع سماوات وسبع أراضين، وبما أنَّنا نعلم بفتق الأكوان؛ فَلِمَ لا نبحث؛ حتى نكتشفها مستحيلًا بعد مستحيل.

ولذلك فالأرض لا تَخلق الأرض، والسّماء لا تَخلق السّماء، وعالم الفيزياء لم يلد نفسه ولم يخلقها، وحتى إن خُلق الشبيه بأيّ مفتاح من مفاتيح العلم، فلن يُخلق الشبيه البشري إلّا من خلية حيّة، وحتى إن خلق الشبيه فسيظل شبيهًا؛ ولذلك فقضية الخلق (الحياة) لن تكون إلّا بيد من بيده أمر الحياة.

ولأنَّ المستحيل لا يمكن أن يُدرك إلّا عندما يصبح شيئًا مفعولًا، إذن: فالمستحيل عندما يتجسّد في عمل يصبح مفعولًا شكلًا، أو صورةً، أو شيئًا مشاهدًا وملاحظًا، ولأنّه المفعول؛ فلا يكون إلّا بفعل الفاعل، ولأنَّه بفعل فاعل المستحيل فهو لم يَخلق نفسه، بل من ورائه خالق المستحيل الذي لم تتمكّن عقول بعض الفيزيائيين من التمييز بينه وبين فعله الإعجازي، فعقول بعضهم وقفت عند المستحيل وكأنّه الخالق، وهنا تكمن العلّة المعيقة للبعض من الارتقاء وإحداث النُّقلة؛ ولهذا وجب على الإنسان أن يأمل ويسعى عملًا جادا من أجل بلوغ المأمول العلمي، ونأمل له نيله،

[38] الأنبياء 30.

شريطة أن يكون نتاج تساؤلات وفروض علميَّة، بحيث يبرهن لنا تجربة يمكن تكرارها ومشاهدة الحقائق البعيدة من خلالها قريبة.

ولذلك فالكون لو لم يكن مخلوقا ما كان مستحيلًا، والاستحالة من أجل أن تُدرك ينبغي أن تلاحق، وتتابع استحالة بعد استحالة، وكأنّها تتدرّج من الأصعب إلى الصَّعب، فخَلق الكون وتسييره أكبر المستحيلات التي تمّ إدراكها عقلًا، ثمّ خَلق المشاهد في ظُلمة، فيها خُلقت الأرض كما خُلقت النّجوم والكواكب والمجرّات، ثمّ خلقت الأزواج من الأرض وهي مرتقة في السّماء، ثمّ من بعدها خُلق التكاثر تزاوجا، فكلّ هذه المخلوقات هي نتاج الفعل المستحيل؛ ولذلك فبمقارنة خلق الأزواج من الأرض وهو الأقرب لعقول البشر، نجد أنّ الخلق من لا شيء (خلق الكون) يبدو وكأنّه أصعب من خلق الأرض، وهكذا خَلق الأرض يبدو وكأنّه أصعب من خلق آدم وزوجه المخلوقين منها، وكذلك الخلق من التزاوج على الصّعوبة التي لا تقارن لو لم يكن هناك ما هو أعظم خلقًا منه.

ومع أنّنا ندرك أنّه لا صعوبة بالنِّسبة إلى الخالق؛ كونه يخلق بأمره ما يشاء متى ما يشاء، وأينما يشاء، وكيفما يشاء، ولكن لتقريب المعنى وتوصيل المفهوم دلالة استمددنا مثالًا توضيحيًّا للمستحيل الذي لا يكون إلّا مخلوقا ومفعولا من خالق يَخلقه ويفعله؛ ولذلك فلا وجود للصّعب على من بيده أمر الخلق استحالة، ولكنّ الصَّعب يواجه من يحاول بجهده ومقدرته المحدودة في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع.

فالمستحيل فعلٌ لا تواجهه الصّعوبة، بل الصّعوبة تواجه الممكن الذي لا يكون إلّا في حدود الجهد والإمكانات المتاحة؛ فالمستحيل لا علاقة له بالجهد، بل له علاقة بالفعل المطلق الذي لا يكون إلّا بيد من فعل المستحيل الذي به خُلق الكون تمدّدا وتسارعًا إلى النّهاية التي من بعدها ستؤول الأكوان كونًا مرتقًا.

ولذا فعندما تُرتق الأرضون والسّماوات يعود الكون كما خُلق أوّل مرّة: {اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ}[39]؛ فالوجود هكذا سيكون بين تمدّد وانكماش حتى النّهاية التي تعتدل فيها الأكوان على كرسي خلقها بلا استحالة.

فالمستحيل لا يكون بالعمل، بل المستحيل لا يكون إلّا بالفعلِ؛ ذلك لأنَّ العمل يتحقّق وفقًا لما يُبذل من جهد، وما ينجز منه، أمَّا الفعل فلا يتحقّق إلّا بفعل الفعّال، حيث لا حاجة للجهد (كن فيكون)، وعن غير مقارنة فأنا مثل غيري بنظرات عيني فقط أقول لأبنائي: اصمتوا، أو اجلسوا، أو اخرجوا؛ فما بالك بخالقي وخالق الكون وكلّ شيء مستحيل، ألا تكفي كلمة (كن)؟

وعليه:

فكلِّ ما لم يكن مستحيلًا هو ممكن، وهنا تصنع الآمال وتولد أمل من بعد أمل، والفرق بين الممكن والمستحيل، هو: أنّ الممكن قابل للإثبات

[39] الرّوم 11.

أو الاكتشاف، وهو في حاجة لمن يبرهن على معطيات وجوده، وهو قابل للإثبات مثلما هو قابل للنّفي والرّفض، وقابل للظّهور مثلما هو قابل للكمون، وقابلٌ لأن يكون أملًا من أجل مأمول.

ولهذا لو لم يكن الممكن ممكنًا ما تمَّ إثباته واكتشافه وظهوره وكمونه والشّكّ فيه، ومقارنته مع غيره، أو معرفة مدى ترابطه، أو ثباته، أو اهتزازه.

أمَّا المستحيل: فهو المثبت الذي نعلم به ولا نعرف كيفيته إن لم يخبرنا عنها فاعله تعالى فعلى سبيل المثال: المؤمنون يعلمون بيوم البعث، ولكنّهم استحالة لا يعرفونه، ولا يعلمون ساعته؛ ولذلك فالخلائق تموت ولا أحد يستطيع إيقاف الموت عنها، والأحياء يخلقون ولا أحد يستطيع بث الحياة فيهم إن لم يولدوا أحياء، وهكذا الشّمس تشرق وتغرب، ولن يستطيع أحد تغيير أمرها أو تبديله.

ولأنَّ وجود المستحيل لا يُنفى، ولا يُلغى، ولا يُقدّم ولا يؤخّر؛ فهو متحقّق، في زمن المفاجأة، فالصّواعق والزّلازل والبراكين لا بدّ وأن تحدث، ولكن ينبغي لنا أن نعمل ما من شأنه أن يقي عنها، وكذلك المرض آتٍ ولكن ينبغي أن نعمل ما من شأنه أن يقي عنه، ويشفي منه، والصّحة تضعف، والعمل على تقويتها ضرورة ممكنة، والموت لا شكّ أنّه آتٍ وإن أطلنا في أعمارنا وبلغنا عمر نوح عليه السّلام أو حتى تجاوزناه سنينَ، فكلّ ذلك ممكن علما وبحثا ومعرفة. ولكن أن نلغي الحياة أو الموت حتى وإن دمّرنا ما يمكن لنا تدميره فلا إمكانيَّة، وهنا يكمن المستحيل، أي: إنّ أمر

المستحيل بين يدي فاعله أمرا نافذا، فعلى سبيل المثال: عندما يكون اليوم السّبت فإنّ يوم الأحد سيأتي غدا وفقًا لِعِلمنا ومعرفتنا، ولكن يستحيل أن يحدث الانفجار العظيم ثانية، أو ينكمش الكون، أو أن يُرتق في لحظة المفاجأة، ولن يأتي الأحد غدا كما هو متوقّع، وهذا الأمل يسري على المأمول؛ إذ ليس كلّ الآمال تتحقق وإن كان المأمول قابل للنيل.

ذلك لأنَّ المستحيل هو فعل يُفعل بغتة (في زمن المفاجأة)، وهو الذي يحتوي دائرة الممكن، والممكن لا يحتويه؛ فالممكن لا يكون إلّا وفقًا للاستطاعة، ولا يتحقّق إلّا على أيدينا، أمّا المستحيل فهو ما لا تستطيع قوّتنا فعله، ولا أيدنا عمله، ولا عقولنا إدراكه ومعرفة كيفيّته. ومع ذلك فمن الضّرورة التفكير فيه بعمق ودون ملل؛ فالملل يحول بين الحقيقة والباحثين عنها.

ولذا ينبغي على البحاث إن أرادوا معرفة المجهول، أن يصوغوا له تساؤلات؛ فالتساؤلات تقود إلى معرفة المجهول في دائرة الممكن، ومن ثمّ فالبحاث الذين يعتمدون على صياغة الفروض العلميَّة لن يتمكّنوا من معرفة المجهول، بل إنَّهم يتمكّنون فقط من معرفة النّصف المتبقي من المعرفة المتوفّرة لديهم، فالفروض وأن عظمت نتائجها لا تصاغ إلّا ونصف المعلومة غير مجهول، وللضّرورة هم يبحثون بهدف معرفة ما يتمّم نصف ما لديهم من معرفة.

ولذلك وجب تقدير الشّطحات العلميَّة؛ فهي في دائرة الممكن قد تؤدّي إلى معرفة المجهول، أمّا بالنِّسبة إلى ما هو مستحيل فالشّطحات عندما تكون موضوعيَّة تمكّن من معرفته، وإن قصرت عن معرفة الكيفيَّة التي هو عليها، ولكن عندما تكون الشّطحات غير موضوعيَّة فهي بلا شكّ ستزيد الهوة اتساعا بين ما هو مستحيل، وما ينبغي للإنسان أن يتمكّن من معرفته وإدراكه.

ومن هنا فلا ينبغي أن تكون المناهج تدبُّرية مقتصرة على الوقت الحاضر، بل ينبغي أن تكون تطلّعية، تستوعب الحاضر تدبُّرا ولا تقتصر عليه؛ فالتدبُّر لا يكون إلّا وفق الإمكانات المتاحة في الوقت الحاضر، أمّا التطلّع فهو البحث عمّا يُحدث النُّقلة إلى ما هو أفضل وأكثر ارتقاء.

ولذلك فالتّطلّع يُمكّن الآمل من مأموله كما يمكّنه من استقراء المستقبل وصناعته، ثمّ يمكّنه من تجاوزه ارتقاء، ومن ثمّ إذا أردنا معرفة المستحيل وبلوغه استحالة، فلا ينبغي أن توضع إشارة قِفْ أمام التفكير العلمي لبني آدم. بل ينبغي أن نفكّر فيما نفكّر فيه حتى ننجزه عملًا متحقّقا أمام المستحيل وآفاقه البعيدة، والذي بوجوده بعيدًا عنّا يفسح لعقولنا مجالات التفكير فيه، والتمدّد تجاهه بلا موانع. أي: ينبغي أن نفكّر في كلّ شيء، وبكلّ حرّية مقدّرة، حتى نعجز، وحينها نعرفه مستحيلًا؛ ولذا فلا مستحيل قبل العجز، ومن ثمّ وجب البحث حتى بلوغ العجز الممكّن من معرفة المستحيل عن قرب؛ ولذلك خُلقنا.

ولأنَّنا خُلقنا لذلك؛ فينبغي لنا أن نأمل ونعمل، والمستحيل نصب أعيُننا، حتى ندركه عجزا، وحينها ندرك أنَّ الارتقاء إليه يمدّنا بالثّقة حيث كلّ شيء ممكن حتى وإن كان صعبًا غير متوقّعٍ.

ولأنّه المستحيل؛ فهو لا يعيق العمل ارتقاء، بل الذي يُعيق العمل عن النّهوض، وإحداث النُّقلة، وبلوغ الارتقاء قمّة ونيل المأمول هو العمل الذي ينحدر بأصحابه في دونيّة الأخلاق وسُفليَّة التخلّف السياسي والاقتصادي والاجتماعي والإنساني: {وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى}[40].

فالإنسان الذي خُلق في أحسن تقويم، هو الإنسان المقوّم للارتقاء، وليس للدّونية، ولكن لأنّ الارتقاء والدُّونيَّة يتأثران بالمعرفة والتّخيير تذكُّرًا وتدبُّرا وتفكُّرًا؛ فهما بيد الإنسان رغبة واختيارًا؛ ولذلك ينبغي لبني آدم أن يأملوا ويعملوا كلّ ما من شأنه أن يؤدّي بهم إلى إحداث النُّقلة الممكّنة من معرفة المستحيل وبلوغه ارتقاء.

وعليه:

فالفعل المستحيل لا يكون إلّا خَلقًا، ولأنَّه كذلك فلا يكون إلّا إعجازًا، حيث لا إمكانيَّة لخلق الشَّيء شيئًا إلّا بمشيء، وحتى إن عُدنا لذلك التّساؤل الذي كنّا نطرحه على أنفسنا أيّام المراهقة والثانويَّة، وهو:

[40] الكهف 88.

من الذي خلق الخالق؟ وكيف كان قبل أن يخلق ما خَلق؟

أقول:

بما أنَّنا نقول الخالق، إذن: فلا ينبغي لنا أن نسأل عمّن خلق الخالق؟ أي: كيف لنا من زاوية نقول: الخالق، ومن زاوية أخرى نسأل عنه؟ إنّه الخالق الذي يخلق ولا يُخلق، ومن ثمّ فكلّ شيء يُخلق ليس بالخالق؛ ولذا فلا فواصل بين الخالق وخَلقه، فالخالق ليس على الصُّورة ليكون موجودًا قبل أن يخلق الخلائق؛ ولذلك فالسُّؤال ليس في محلّه، لأنّ السّائل جعل في ذهنه هيئة للخالق، وهنا تكمن العلّة، حيث لا هيئة للخالق، بل له مشيئة، والمشيئة هي فعل المستحيل، والتفكير في الفعل المستحيل يجعل السّائل في حيرة من أمره بعلّة في نفسه، وهي: اختلاط فكرته عن الخالق الذي لا يُصوّر بما هو على هيئة الصُّورة، وبالتّالي فمن يتصوّر لله هيئة، يجعله وكأنّه داخل الإحاطة، ومن يفكّر داخل الإحاطة؛ فتفكيره لا يزيد عن كونه تفكير كتكوت داخل البيضة، والذي لا إمكانيَّة له في رؤية عالم أعظم من عالمه داخل البيضة؛ ولذلك فهيئة الله بلا هيئة، وصورة الله بلا صورة، ومن هنا فنحن غير عاجزين عن معرفة الله، ولا يليق بنا أن نسأل عمّن بيده الأمر (كن): كيف كان؟

نعم، الله لم يكن، حتى نسأل عنه كيف كان فمثل هذا السُّؤال يتعلّق بمن لم يكن فكان، كما هو حال الكون الذي كما يقولون عنه: كان نتاج ذلك الانفجار العظيم سببا، وكما هو حال الأزواج التي لو لم تكن الأرض

كائنة ما خُلقت منها الأزواج سببًا، وغيرها كثير من الخلائق التي قبل خلقها لم تكن بخلائق.

ومن هنا فلا ينبغي أن يكون السُّؤال: كيف كان الله؟

بل ينبغي أن يكون السُّؤال: من هو الله؟ وما هي صفاته؟

فالله هو الذي يُسمّى بهذا الاسم، وهو الذي لم يكن كائنا، حتى يسأل عنه كيف كان؛ ولذلك فالكائن لا يكون إلّا على هيئة يراد له أن يكون عليها فيكون؛ وبالتالي فأيّ كائنٍ لا يكون إلّا على هيئته ووفق مشيئة ليست بيده، ومن هنا؛ فنحن ندرك الكون علما، ولكنّا لا ندرك هيئته، وكيف لنا بهذا ونحن لم ندرك صورة الكون متكاملة؟ أي: كيف لنا بهذا ونحن داخل محيط الكون الذي لم نتمكّن بعد من الخروج عنه بأيّ سبب، ومع ذلك يمكن لنا أن نتصوّر الكون لكوننا جزءًا فيه أو حتى إنّنا أقل من ذلك بكثير، أمّا الخالق فهو على غير هيئة؛ كونه على غير صورة، وبالتالي لا إمكانيَّة لوضعه في أيّ هيئة ذهنية، ولا يليق بعقولنا ومدركاتنا التي أدركته استحالة أن تجعله على هيئة أو صورة وهو لم يضع نفسه فيها؟

ومن ثمّ؛ فالله يخلق غيره، وغيره لا يخلقه، وبالعودة إلى السُّؤال: كيف كان الله؟

فالله لا يكون.

ومن هنا فالسُّؤال لا علاقة له بمن يُسأل عنه، بل له علاقة بالسّائل، الذي لا يعرف من كينونته إلّا أنَّه من نطفة، ومن قبلها من تراب، ولا شيء غير ذلك، ومع ذلك يسأل: كيف كان الله؟

أي: ألا يكفي إجابة علمه أنَّهُ قاصرٌ عن معرفة كيفيّة خلقه التي ليس له رأي فيها؟ ويسأل عن كيف كان الله؟

أقول:

عليك بالبحث في الكون بلا توقّف؛ لعلّك تعرف: كيف خُلق؟ وكيف كانت له هيئة قبل أن يُخلق؟ ووفق أيّة مشيئة هو خُلق؟ وكذلك عليك بالبحث في نفسك؛ لعلك تعرف: كيف خُلقت؟ وكيف كانت لنفسك هيئة قبل أن تُخلق؟ ووفق أيّة مشيئة هي خلقت؟ وعليك أن تفكّر فيما تفكّر فيه قبل أن تتكلّم وتقرّر أو تعمل، فإن فعلت ذلك عن وعي، لا شكّ إنّك ستدرك أنّ صفات الله تتعدد بتعدد نعمه، وهو الواحد الذي لا يتعدّد.

صُنع المأمول صُنع مستقبل:

المستقبل ليس ذلك الزَّمن المنتظر في ذاته، بل هو ذلك المأمول الذي لا يتحقّق إلَّا فيه؛ ولهذا فالمنتظرون للزّمن في ذاته لا شكَّ أنّ ما ينتظرونه سيكون متحقّقًا، ولكن بلا آمال؛ لأنّه الزَّمن المنتظر، وهذا الذي نحن نخشاه وفي شأنه نقول:

لا ينبغي أن تنتظروا الزَّمن، بل عليكم بانتظار ما تأملون أن يكون تتويجًا لما تبدلونه من جهد تكون ثماره إنتاجًا بين أيديكم في الزَّمن المنتظر (المستقبل).

المستقبل زمن لم يأت بعد، وهو الذي ترسم الخطط وتوضع الاستراتيجيات من أجل بلوغه عملًا وإنتاجًا ونهضةً وتقدّمًا، ممّا يجعل الزَّمن ليس غاية، بل الغاية تفادي ما يمكن أن يكون فيه حاصلًا سلبيًّا.

والمستقبل غير منزويًا عن الماضي والحاضر، بل هو مرتبط بهما ويمثلان له قاعدة التأسيس لكلِّ الافتراضات التي من شأنها أن تكون مساهمة وفاعلة في صناعة المستقبل المأمول ارتقاءً، وهو الذي بدونه لا يجد الأمل حلًّا.

ولأجل النّهوض ارتقاءً، وجب المزيد من البحث العلمي الممكِّن من المعرفة الواعية التي بدورها تُمكّن من الإسراع في طي الهوة بين المأمول والأمل، وذلك بما يطوي مشاعر الخوف طمأنينة، ويخلّص من الحيرة حلًّا بعد تأزّم؛ فالبحث العلمي ارتقاءً يستوجب أسلوبًا مرنًا، وطريقة تستوعب التَّاريخ تجربة ومنهجًا ووسيلة.

ولأنَّ الإنسان قد خُلق في أحسن تقويم؛ فليس له بدّ إلّا المحافظة على حُسن تقويمه، وهذه قاعدة، ولكن إن انحدر استثناءً، وبأيّة علّة؛ فليس له إلّا النّهوض، وهذه قاعدة أيضًا؛ والإنسان بين قاعدة واستثناء لا ييأس؛ ولهذا وجب العمل الذي يمكّن من بلوغ الغايات العظام التي يأملها؛ فالإنسان متى ما فقد الأمل فقد المستقبل المنقذ.

ولأنَّ الانحدار بين قاعدتين: (حُسن الخَلق، وضرورة الارتقاء)؛ فهو باق مادمنا باقين، وله الثلث في حياتنا من المورث انحدارًا، ولهذا؛ فلا داعي للقلق بما أنّنا نرث الثلثين (خلقًا وارتقاءً)، ولكن هذا لا يعني: أن نظل كمن ترك له أبوه إرثًا ولم يستثمره؛ فانتهى صفرًا.

ولأنَّ لكلِّ قاعدة شذوذ؛ فلا إمكانيَّة لبلوغ الحلّ كمالًا؛ فتلك الجهود عبر التَّاريخ، وهذه الجهود، ستتلاقح ارتقاءً بغاية إنتاج الفِكْر الممكِّن من إشباع الحاجات المتطوّرة.

ولأنَّ الارتقاء رغبة وأمل؛ فسيظل أملًا يسعى في الزَّمن المستقبل نهوضًا وهو لا يُمكن أن يلاحق إلّا بالعمل إنتاجًا وإعمارا وبناء وبحثا علميًّا، مع الاهتمام بالقيم التي تنال التقدير من النَّاس.

إنَّ التفكّر في المستقبل يمثل الامتداد الطبيعي للحياة من ماضيها وحاضرها، وله أهمية كبيرة في البناء المرتقب الذي يكون من ورائه امتدادات مختلفة تتّجه بحسب الاستراتيجيَّة التي وضعت له اللبنات الأوَّلى، فالمستقبل يعدّ الأرضية الجديدة التي يُؤسّس من خلالها كلّ ما هو مطلوب ضمن دائرة المتوقّع وغير المتوقّع، وبذلك يكون التفكّر عنصرًا مهمًّا في خلق مستقبل موافق لكلِّ التوجهات التي تسعى إلى المضي قدّمًا نحو التفاضل والوصول إلى الدّرجة التي تكون إخافتها حاصلة، ودون وجود مخيف يمكن أن يماثلها أو أن يكون ندًّا لها.

ولا يكون التفكّر منزويًا عن الماضي والحاضر، بل هو مرتبط بهما ويمثلان له قاعدة للتأسيس لكلِّ الافتراضات التي من شأنها أن تكون مساهمة وفاعلة في المستقبل؛ فالمستقبل لا يمكن بناؤه دون النّظر إلى امتداداته الحاصلة التي يكون الانطلاق منها حاصلًا في كلّ التوجهات، وتكون التوجهات المختلفة منتمية إلى جذور تمدّها بما يسمح لها بالسعي إلى إيجاد حلول واضحة المعالم، فلا يكون هنا أيِّ انكفاء، بل تكون الأمور عامّة سائرة نحو تشابك منظم يكون من ورائه وجود تبعات تبحث لها عن رؤى تفاعلية تثري التفكّر وتمنحه أبعادا مختلفة ومهمة، وهنا يكون الإيضاح سمة مطلوبة كي يكون الاتساع المرافق ملبّيا للإدراكات الحاصلة، فتحصل بذلك شموليَّة مطلوبة تطرح التواصل الذي يكون من ورائه تحقّق التفكّر.

ومع ذلك فالمستقبل يكتنفه في بعض الأحيان غموضًا معيّنًا يسير في مدارات قد تبدو للوهلة الأوَّلى غير منضبطة وفق الرُّؤية المطروحة، وهنا يكون الاستشراف حالة ملبّية للكثير من الطُّموحات وحتى التداعيات التي تخلف انفراجا وإن كان وقتيا إلّا أنّه قد يكون سببًا في حلّ الكثير من المتعلقات المفترضة، كما أنّ التشكيل العام لهذه الرّؤى يكون مطويًّا خلف إزاحات دائمة تريد أن تجد لها مكانا بين الحضور الحاصل، إلّا أنَّ مكمنها قد لا يبدو واضحا نتيجة البعثرة التي تحصل في بعض الأحيان، وهنا تنبري لنا مسألة مهمة ألا وهي التنظيم المطلوب ضمن هذه الصيرورة، إذ يحتّم المكوث عند هذا التنظيم وجعله منهجا يكمن فيه التحقّق المطلوب،

ويكون الحذر حاضرًا في هذا التنظيم بطرق متباينة؛ فالحذر يقف عند كلّ النقاط المهمّة التي يكون من ورائها الوصول إلى الامتدادات المستقبلية المطلوبة؛ فتكون الآليات المطروحة تسير وفق اتجاه يكتنفه الحذر وفق كلّ التفصيلات المتاحة، وهذا الأمر يسهم بشكلّ أو بآخر في إيجاد نتائج واضحة المعالم يُرى فيها معالم الحذر في كافة جوانبها؛ فيكون الظهور المتحقّق وفق هذا التفكّر ملبيا للبداية التي طرحت كلّ ما من شأنه كي يصل التفكّر إلى هذه المرحلة وما بعدها ارتقاءً.

وينفتح الحذر على كلّ الأزمنة، وهذا من باب الاتساع المطلوب كي تكون الصُّورة المطلوبة واضحة وملبّية لكلِّ التغايرات التي يمكن أن تحصل فالارتباط المطلوب يغرس في كلّ خطوة من الخطوات اتكاءات جديدة يكون مبعثها متزامنا مع التفصيلات التي يكمن فيها الحذر من أجل تحقيق مستقبل أفضل، وهذا يسير بوتيرة إفضائية تتحكّم بشكلّ ينمّ عن وجود ارتباط فعلي بين هذه الامتدادات الثلاث، ولأنَّ النّهاية مفتوحة سيبقى الحذر مفتوحا ولا يتقيد بأيّ قيد يمكن أن يكفّه عن تحقيق فاعليته؛ فالنّهاية المفتوحة تكون حافزا على خلق استمرارية في البحث تتّجه دائمًا نحو شمولية يتّسع مداها كي تكون متجاوزة لكلِّ الأساليب التقليدية التي تكتفي بالبقاء عند عتبات تجد أنّها تمثّل النّهاية التي يجب أن تكون، وهذا الأمر بطبيعته مخالفًا للحياة التي نعيشها؛ فهي قائمة على استنهاض مستمر، وبحث مستمر والأمل لا يفارق، فالتوقّف أو الانكفاء سمة تشير إلى وجود

خلخلة وبعثرة حقيقية في التفكير، لأنَّ البقاء ضمن هذه الأطر يخلق ارتباكًا وفوضى معرفيَّة لا تكون نتائجها محمودة أبدا، وفي المقابل تفطين الذَّاكرة لاحتواء ما يُنتج عبر الزَّمن ماضيا وحاضرًا، يقود بسلام إلى تطلّع مأمول لا يتحقّق إلّا بالعمل في دائرة الممكن مستقبلًا.

ونحن إذ نشير إلى هذا التعالق فهو من باب أنّ التفكّر لا يمكن له أن يكون سائرا بالاتجاه الصحيح دون أن تكون له قاعدة يتكأ عليها، تمدّه بكلّ ما يمنحه من امتدادات مختلفة سواء أكانت نظرية أم عمليَّة؛ فتوجه الحذر يكون متماشِيًا مع هذه الامتدادات كونها تتوافق معه فيسمح لها بالمثول عند أيّ ارتكاز تريده.

وعليه يكون التفكّر واقعًا ضمن دوائر متعدّدة تكون حاضنة له، فتمنحه كلّ ما من شأنه أن يحقّقه، وإن كان الأمر ضمن دفعات تتابعية إلاّ أنّه لا يخلو من إرهاصات قد تكون متواجدة بشكلّ لا يكون من ورائها انزياحات كبيرة، وهنا يكون الحذر من أجل صناعة المستقبل المأمول متغلغلا في كلّ الجوانب التي تريد أن تقف عند أعتاب كلّ التشكيلات التي يكون من ورائها البناء المطلوب، لأنّ هذه الصّفة بلزوميتها تواكب الحاصل الذي لا يسير معها، بل هي تسير معه، وهنا تكون عظمة المرافقة التي تمنح التفكّر أبعادا مهمة تساهم بفاعلية كبيرة في خلق مستقبل غير مسبوق، لأنَّ السّابق متحقّق بكلّ ما فيه أمام المستقبل الذي يسعى نحو التفاضل والتمايز، فتتحقّق بذلك الافتراقات التي تخلق بناءًا مغايرًا مبنيًّا

على تشعبات استبطانيَّة وجدت في الماضي والحاضر البداية التي لا يمكن أن تكون ثابتة، بل هي موجّه نحو إيجاد البدائل أو إيجاد الجديد الذي يكمن فيه التغاير والتباعد عن نقاط الالتقاء التي تكون ملبّية للتساوي الذي يجب ألاّ يكون.

إنَّ التفكّر في المستقبل يسير بالفكر الإنساني نحو إيجاد بدائل يكمن فيها النّهوض المأمول الذي يمنح النَّاس جميعًا حياة أفضل، لكن هذا الأمر لا يتحقّق للجميع كونه يرتبط بأخذ الحيطة والحذر؛ فالمخاوف بسمتها الإيجابية المفقودة يكون الرّكون إليها متفاوتا، وهذا ناتج عن الإدراك غير الواعي بالحقيقة الموجودة؛ فالخوف لم يكن سلبيًّا على مدار الوجود الإنساني، بل كان حافزا مهمّا في المعالجة والوقاية ودرء المخاطر في أوقات مختلفة؛ فهو يشير دائمًا إلى وجود خروقات طبيعيَّة وغير طبيعيَّة تخرج عن نطاق المتعارف أو الطبيعي الذي يجب أن يكون؛ فهو بذلك منبّه من الدّرجة التي يكون استشعاره باعثا على إيجاد كلّ ما من شأنه أن يدفع بالمتغيرات الحاصلة التي ظهرت منها المخاطر نحو حدود جديدة يكمن فيها الدرء المنشود من أجل بلوغ مستقبل أنفع، وهذا الحال حين يكون تحقّقه مستمرا يمنح الإنسان وعيا مستمرا أيضًا، ذلك أنَّ تكرار المنبهات يحيل إلى زيادة في الوعي المتحقّق؛ فيكون الخزين العام منساقا نحو هذه الزيادة التي يُرى فيها إضافات جديدة على المساحة الفكرية المطروحة؛ فيكون الاغتناء

الفكري قد وجد له تمويلا مستمرا يمنحه ما يشاء، وبتفصيلات تلهمه المتابعة التي يجد فيها كلّ ما هو جديد وكلّ ما هو بديل للحاصل[41].

وعليه:

لا يمكن أن يُصنع المستقبل إلّا بالتفكّر، ولهذا فعلينا به تخطيطا، مع السّماح للبحاث بالتفكّر حتى بلوغ الخوارق، وبلوغ المعرفة التي تمكّن من معرفة المستحيل مستحيلًا، ومن معرفة المعجز معجزا، ومن معرفة الممكن ممكنا حتى وإن كان غير متوقّعا، ولهذا فصناعة المستقبل المأمول تمكّن من معرفة المجهول وكشف خفاياه.

ولأنّ الحياة من أجل المستقبل؛ فنحن بني آدم نتعلّم، ونبحث عن فرص عمل، ونتزوج، ونصادق من يصادقنا، وعندما نتعرّض لسوء التكيف قد نُطلق عند الضّرورة، وعندما تقوى علاقاتنا نُشرّع، ونسنّ القوانين والنّظم، ونحدّد الأهداف ونرسم الخطط، ونتطلّع بأمل إلى المستقبل القريب والبعيد، ولهذا نصوم ونصلي من أجل نيل المستقبل جنَّة.

ولذا فالقاعدة هي:

العيش من أجل المستقبل.

والاستثناء هو:

العيش من أجل الآن.

[41] عقيل حسين عقيل، الخوف وآفاق المستقبل، ص 131 . 135.

استنهاض الخوف صناعة للمستقبل:

يكمن الخوف في النَّفس الإنسانيَّة، لكن هذا الكمون لا يكون مستديما أو حالة تكون أشبه بالمكوث الذي لا يرى بزوغه أبدا، ذلك أنَّ المثيرات الخارجية تسعى دائمًا إلى يقظته في تشكيلات متعدّدة ومتنوّعة، فيكون ظهور الخوف ضمن حالة متفاوتة بحسب المثير الذي يستفّزه، هذا الأمر يكون تحقّقه ضمن آنيّة مفترضة يكون حصولها بعد امتدادات واضحة المعالم، يُرى فيها كلّ التمركزات المطلوبة، والتي يكون من بعدها التوجّه العلاجي قائم من خلال مثول الخوف وراء كلّ ما يحصل.

إنَّ هذا الانفتاح في المعالجة قائم على آنيّة تكون محدّدة الحدود واضحة التفاصيل، ومن الممكن الوقوف على كلِّ ما من شأنه أن يكون الحلّ فيه ظاهرا سواء أكان مادّيا أم معنويا؛ فتكون المعالجة سريعة، لكنّها لا تخلو من أخطاء متفاوتة قد تكون قليلة في بعض الأحيان، إلّا أنَّها قد تتّسع في أحيانا أخرى لتصل الأمور في بعضها إلى وجود خروقات غير منطقيَّة، تجعل الكثير من الحلول في المستقبل في مهبّ الرّيح، هذه الآنيّة ساهمت بشكل أو بآخر في استنهاض الخوف من خلال رسم حجم المخاطر وتبيان ما فيها من تفصيلات تعينه على إيجاد حلول يكون من خلالها الوصول إلى نقاط التقاء فعليّة تكسب الزَّمن أوَّلًا، وتخرج الوضع الحرج أو الخطر إلى وضع آخر أفضل ثانيا، إلّا أنَّ الوضع الأفضل يكون وفق مقاييس غير ثابتة، إذ تكون هذه المقاييس تابعة إلى مجمل العوامل

التي التفّت حول الخوف، ومنحته هذا الاستنهاض الذي كان سببا فاعلا في الوصول إلى النتيجة الحالية التي هي في كلّ الأحوال منقادة للبداية الأوَّلى التي كانت قاعدة الانطلاق.

يسير الخوف باتجاهات واضحة المعالم حين يكون الاستنهاض مبنيًّا على أسس علميَّة، تتّسع مراحلها نحو إيجاد توافقات بين الحدود المفتوحة التي لا يُرى فيها في كثير من الأحيان إلاّ ابتعادا عن المركز المفترض، هذا المركز يكون من خلاله طرح ما يمكن طرحه وإعداد ما يمكن إعداده، ولهذا لا تكون البداية مفتعلة بأيِّ حال من الأحوال، لأنَّ الافتعال لا يولِّد في المستقبل إلّا أخطاء جسيمة، ونحن إذ نرى في البداية أنّها يجب أن تكون مبنيّة على اتساعات علميَّة مختلفة تلملم المطروح وتدخله في سياقات حقيقية وافتراضيَّة، فتمنحه بذلك مديات متباينة يكون على أساسها الوصول إلى الاتكاءات التي يكون من ورائها الوقوف على الحلّ، والذي يكون من ورائه تفادي المخاطر التي يمكن أن تحدق بالإنسان.

إنَّ السّير خلف طروحات ثابتة يجعل من استنهاض الخوف أداة ناقصة الفاعلية؛ ذلك أن التغيُّر المستمر في الحياة يخلق حالة من التصحيح المستمر لكلِّ ثوابت الحياة، وهذا بطبيعة الحلّ يوجد ارتماءات متعدِّدة تحاول أن تجد لها ما يكفل بقاءها ضمن دائرة الاستنهاض؛ فتكون الأمور ضمن هذه النسقيَّة باطلة وغير قابلة لردع المخاطر؛ فتقلبات الحياة جعلت الكثير من الأمور تكون ضمن انزواءات لم يتوقّع لها أن تكون فيها؛ فكانت وجودا

غير مرغوب فيه في كثير من المواقف، وهنا تنبري الأمور ضمن استمداديَّة جديدة؛ فتحاول أن تجد ما يمنحها صيرورة البقاء ضمن دوائر جديدة تسهم من خلالها في إيجاد حلول واضحة، وإن كانت استعراضية إلّا أنَّها ملبية لبعض الإرهاصات الحاصلة التي تبدو غير خطره.

وتتحدّد الحياة من خلال تقسيم يطرح كلّ ما من شأنه أن يكون سببا في استنهاض الخوف، ذلك أنَّ المخاطر أصبحت ضمن مدارك الإنسان المختلفة؛ فيلتفَّ حولها استشعارات متباينة تكون حافلة بأسباب البحث عن كلِّ النقاط التي يكون من ورائها الوقوف على الصُّورة الافتراضيَّة التي ستكون في المستقبل، وهذا يشمل ما يسمى بصناعة المستقبل؛ فالمستقبل في حقيقته غير متحقّق، إلّا أنّه يمكن أن يتحقّق من خلال رسمه بتقنية خاضعة لكلِّ ما يساهم في تحقّيقه، وفي هذا المقام يتراءى لنا مصطلح المستحيل الذي يمكن أن يكون باعثا لتوقفات كبيرة يكون من بعدها تحقّق المخاطر، ومن ثمَّ الانزواء عن إيجاد حلول تكون ناجعة في كلّ المقاييس ولكي نبدِّد هذا المصطلح ولو آنيّا علينا أن نلجأ إلى المتوقّع وغير المتوقّع كي نسلب منهما الحلول التي يمكن أن تكون باعثة على إيجاد أرضية صلبة وواضحة المعالم، ويكون من ورائها خلق استنهاض للخوف يكون من ورائه صناعة المستقبل بالكيفيَّة المفترضة والمرادة.

المتوقّع يسير في دائرة المتحقّق الذي يكون وجوده وصداه حاضرًا في المنظور وغيره، وهذا بطبيعته يخلق حالة واضحة من وجود ثوابت يكون

حضورها ممثّلا لجانب مهم من جوانب صناعة المستقبل؛ فيكون هذا الحضور استمرارا لهذه الصناعة حتى يمكن القول أنَّها تدخل حقل البديهيات التي يكون وجودها لا بديل عنه.

أمَّا غير المتوقّع؛ فيكون خاضعا لنظرة استشرافيَّه باحثة عن كلّ ما من شأنه أن يكون مؤسّسًا بطريقة أو بأخرى لصناعة مستقبل مطلوب وفي المواصفات الافتراضية التي وضعت عند بداية الاستنهاض، ولعلَّ البداية قد تكون مفتعلة في بعض جوانبها نتيجة التحسُّب المبالغ فيه إلّا أنَّه بمرور الزَّمن قد يكون هذا الافتعال ممثّلا لكثير من الوقائع التي يمكن أن يكون لها شأنٌ آخر، فلا يكون هناك استبعاد لأيِّ استنهاض وإن كان بعيدا عن السمات المتواجدة ضمن الدائرة الظنيّة الحاضرة في كلِّ حركة متّجهة نحو الاستنهاض.

عليه يكون استنهاض الخوف باعثًا لإيجاد قواعد جديدة تكون ملبِّية لما يمكن أن يكون بديلًا عن الماضي، ودون الركون إلى كلِّ ما من شأنه أن يلغي التوجّه نحو المستقبل بافتراضات بالية وعقيمة لم تنتج إلّا ما يُعطّل الحياة ويجعلها تمرّ بأزمات متوالية.

إنَّ الحياة في كثير من تفاصيلها هي مبنيّة على استنهاض الخوف لصناعة مستقبل يكمن فيه الأمان المطلوب في كلِّ جوانبه؛ فمن ذلك نجد أنَّ المقررات التعليميَّة إن لم تكن مصاغة بمنهجيَّة استنهاض الخوف لدى المعلمين والمتعلمين؛ فإنَّها ستفشل في تحقيق الغايات المرجوة لصناعة

المستقبل، فإعداد كمّ من المعلومات الملبّية لاستنهاض الخوف، يكون موافقا لما يمكن أن يكون منجزًا مستقبليًّا، فالمقررات إنْ لم يراع في صياغتها استنهاض الخوف في أنفس المتعلمين لا يمكن لهؤلاء المتعلمين صناعة المستقبل المأمول منهم، حتى يكونوا من المواكبين لحركات التغيّر والتقدّم التي هي دائمًا في حالة تطوّر من عصر إلى عصر.

ولذا فإنَّ الخوف من أعظم النعم التي تحفِّز الإنسان وتدفعه إلى كلّ ما من شأنه أن يجنِّبه المخاطر والآلام والمظالم، ويجنِّبه الحاجة والعوز، ويُمكِّنه من بلوغ مشبعاتها والإقدام على تطورها وتطويرها، حتى المناهج التي رأينا فيها أن تكون ملبِّية لاستنهاض الخوف، هي متغيِّرة ومتبدِّلة، لأنَّ الخوف أيضًا متغيّر ومتبدّل، وهنا يكون النَّاس ضمن اتجاهين:

الاتجاه الأوَّل: يكون منهم متتبِّعا لكلِّ ما يسهم في استنهاض الخوف من أجل صناعة المستقبل؛ فتكون حركتهم واعية وتسير في مدارات تلبّي ما يطمحون في الوصول إليه؛ فتكون أدواتهم خاضعة لكلِّ ما يصل بهم إلى التحقُّق المراد، حتى ردود أفعالهم تكون منتمية إلى أرضية واقعية التشكيل، فتمنحهم بعد ذلك حلولا صحيحة كما يريدونها في كثير من الأحيان.

الاتجاه الثَّاني: المتفرجون الذين يراقبون كلّ ما يجري، فلا يحركون ساكنا وسيظلون يتفرجون ما لم يعرفوا عن يقين أنّ استنهاض الخوف ضرورة للفرد والجماعة والمجتمع، هذه المعرفة لا تأتي من فراغ، بل يكون السعي من

أجل معرفتها هو مطلب مهم يمنحهم فيما بعد هذا المطلب نتائج غير متوقعة على كافة الأصعدة التي كان ينظر إليها أنَّها غير مهمة.

إذن من يستنهض الخوف في نفسه يتقدّم ويتطوّر حتى يصل به الأمر إلى أن يغزو الفضاء وهو يصنع المستقبل، وفي المستقبل أيضًا سيغزو ما لم نعرفه الآن في دائرة غير المتوقّع، ولهذا من يعلم بذلك لن يُفاجأ، أمَّا الذين لا يعلمون فبالضرورة ستكون المفاجأة في أنفسهم عظيمة ويا ليتها تكون موجودة.

نيل المأمولُ تبوء مكانة:

يعد تبوء المكانة قمَّة، وقد تكون المكانة إيمانًا رفيعًا، وقد يكون كفرًا وشركًا؛ ولهذا وراء كل أملٍ نيَّةٍ (مقصد) وهو الذي يحدِّدُ جوهر الأمل، ونيَّة الآمل، ونوع المأمول وشكله.

ولأنَّنا افترضنا في كلٍّ من الأمل والمأمول خيرًا، وفقًا لقاعدة التسيير الإلهي، والتخيير طاعة لما يجب؛ فإنَّنا عَدَدنا الأخلاق قمَّة الآمل.

والأخلاق قمَّة هي نتاج القيم الحميدة، والفضائل الخيّرة، التي تستمدّ من الأديان والأعراف ارتقاءً، بها يرتقي الإنسان قولًا وفعلًا وعملًا ومعرفةً وسلوكًا من أجل علاقات اجتماعيَّة وإنسانيَّة مؤسّسة على نيل التقدير والاعتبار.

فالإنسان أساس خَلقه الارتقاء (في أحسن تقويم) وأمله الارتقاء خُلُقا إلى ما يجب، ومع أنَّ الأخلاق بيد النَّاس، فإنَّ بعضهم انحدارًا يخسرها بلا ثمن.

ولذلك فالإنسان الأوَّل قد خُلق من تراب الجنَّة، وظل على خَلقه سلالة بشريَّة تمتدّ بين طينٍ لازب وماء دافق، ولا انحدار عن الخَلق المقوّم ولا تطوّر من بعده؛ فالإنسان هو الإنسان، ولكن الانحدار والتطوّر في دائرة الممكن بين متوقّع وغير متوقّع؛ فآدم عليه السّلام وزوجه خُلقا في الجنَّة من تراب الجنَّة، ومع ذلك تعرّضا لإغواءٍ جعلهما على حالة من الانحدار عن الفضائل التي أمر بها الخالق تعالى؛ حيث لم يلتزما بالأمر النّاهي عن الأكل من تلك الشجرة، {فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ}[42].

إذن فالبقاء في الجنَّة بقاء فضائل خيّرة، فمن لا يكون عليها لا يكون فيها، فحتى آدم عليه الصّلاة والسّلام الذي خُلق في الجنَّة خَلقًا، أُهبط به على الأرض الهابطة إلى الحياة الدُّنيا؛ وذلك بأسباب معصيته، وميله لوسوسة من أغواه شهوة.

ولأنَّ الأخلاق يتمّ تشرّبها فضائل خيّرة؛ فبعد أن تلقّى آدم كلمات من ربّه ترشد إلى التي هي أقوم تاب الله عليه: {فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ

[42] البقرة 36.

فَتَابَ عَلَيْهِ}[43]، ومع ذلك صدر الحكم عليه والأرض ومن عليها من المخالفين أن يهبطوا من علوٍّ وارتقاء إلى سُفليَّة ودونية: {قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جميعًا}[44].

ولأنَّ الهبوط كان نتاج الانفتاق العظيم؛ فهو خروج من الجنَّة، حيث ظلّت الجنَّة في العلو رُقيًّا، وظلّ آدم ومن معه من المخالفين والعصاة (الإنس والجن) يحيون الدُّنيا على الأرض الدُّنيا، وفي المقابل بقي الملائكة الطّائعون في علوّ الجنَّة ارتقاء، ولا يتنزّلون إلى الأرض الدُّنيا إلّا تنزيلا لأداء مهمّة تربط أمرا بين السّماء والأرض، نحن نجهله: {لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذن رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ}[45].

ولأنّها الأرض الدُّنيا، وحياة المخالفين والمختلفين عليها مملوءة وسوسة وإغواء؛ فلا إمكانيَّة لأن تكون فيها الحياة آمنة مستقرّة لو لم تتنزّل الرّسالات والأنباء الواعظة والنّاهية والآمرة والمحذّرة والمنذرة والمبشّرة بما هو أمل يشبع حاجة ويرضي رغبة؛ وذلك من أجل علاقات إنسانيَّة تنظّم أساليب الحياة ارتقاء وتلفت المختلفين إلى ما يؤدّي إلى الاتعاظ، ويمكّنهم من إحداث النُّقلة وبلوغ القمّة المأمولة.

---

[43] البقرة 37.

[44] البقرة 38.

[45] القدر 3 . 5.

وعليه:

الأمل ليس غاية في ذاته، بل الغاية من ورائه بلوغ المأمول قمَّة ثم نيله نُقلة، والآمال هي المرجوة بلوغًا ثم نيلًا، سواء أكانت بحثًا علميًّا أم عملًا أم أيّ مقصد من المقاصد المعلومة؛ ولهذا تحدد لها الأهداف؛ لتكون مرشدة لمراميها.

فالآمال تحدّد لها الأهداف وفق الإمكانات المتاحة من قبل الذين يأملون إنجاز ما يمكن إنجازه علمًا أو معرفة أو بناء وإعمارًا وصناعة مستقبل تحدث النُّقلة أخلاقًا، وهي لا تكون محدّدة إلّا بعد وضوح رؤية تجاه ما يجب الإقدام عليه، ومن ثمّ فالصّراع بين بني آدم اختلافًا وخلافًا لن ينتهي بين البناة أملًا، والهادمين له انحدارًا ما لم يضع الجميع نصب أعينهم أهدافًا مشتركة (قابلة للإنجاز)، من ورائها أغراض قابلة للتحقّق، وغايات يجب أن تُبلغ ارتقاءً، وآمال رفيعة يتم نيلها.

فالاختلاف الذي خُلقنا عليه وسنظل عليه مختلفين، هو: اختلاف التنوّع المشبع للحاجات المتطوّرة عن رغبة وإرادة من أجل إحداث النُّقلة أخلاقًا، ولكن هذا الإشباع لا ينبغي له أن يكون على حساب ما يشبع حاجات الآخرين؛ ولذلك يجب أن تحدّد الأهداف والأغراض والغايات بعيدًا عن كلّ ما من شأنه أن يؤدّي إلى الخلاف الذي فيه الاقتتال والفتنة، أي: ينبغي للأهداف أن تحدّد وفقًا لأملٍ مشترك يجمع شمل المتفرّقين خِصامًا، ويحلّ تأزّماتهم، ويشبع حاجاتهم المتطوّرة عدلًا وارتقاءً.

ومن أجل الارتقاء قمّة، ينبغي الابتعاد عمّا يؤدّي إلى الاقتتال والفتن؛ فالاقتتال والفتن ضياع فرصة حيث لا أمل، والزَّمن لا يعطي الفرصة مرّتين؛ فيجب عدم إضاعة الفرص كلّما سنحت الظّروف ارتقاءً، ومن يضيعها سيجد نفسه على غفلة من أمره، وحينها لن ينفعه النّدم؛ فالنّدم عندما تضيع الفرص قد يؤدّي بأصحابه إلى الهاوية، ولكن إن كانت الفرص لا زالت سانحة، فالأمل الرّفيع يؤدّي إلى تصحيح المواقف الخاطئة بمواقف صائبة، أي: متى ما ضعف الإنسان انحدر غفلة، ومتى ما قوي ارتقاءً تذكّر؛ فاتّعظ واعتبر، ومتى ما تدبُّر، عمل وأنتج، ومتى ما فكّر، حدّد أهدافا من ورائها أغراضٌ، والغاية من ورائها القمّة مأمولة.

صدر للمؤلّف

صدر للمؤلّف الدّكتور عقيل حسين عقيل: 92 بحثا نشرت داخل ليبيا، وخارجها.

صدر له (195) مؤلّفا منها: ستَّةُ موسوعات، وهي:

. الموسوعة القيميَّة لبرمجيَّة الخدمة الاجتماعيَّة (4 مجلَّدات)، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م.

. موسوعة أسماء الله الحسنى وأثرها في استخلاف الإنسان في الأرض (11 مُجلَّد)، دار ابن كثير، دمشق. بيروت، 2009م.

. موسوعة صفات الأنبياء من قصص القرآن (9 مجلَّدات)، المجموعة الدوليَّة للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

. موسوعة الأنبياء من وحي القرآن (12 مجلَّد)، المجموعة الدوليَّة للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

. موسوعة من قيم القرآن الكريم (13 مجلَّد)، شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

. موسوعة الأنبياء من وحي القرآن والسنّة (27 مجلَّد)، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

أشرف، وناقش 83 رسالة ماجستير، ودكتوراه.

. مجالات اهتمام المؤلف البحثية:

1 . الخدمة الاجتماعيَّة، والتنمية البشريَّة.

2 . طرق البحث الاجتماعي.

3 . الفكر والسياسة.

4 . الإسلاميَّات.

5 . الأدب

تُرجمت ونشرت له مؤلّفات باللغة الإنجليزية، والتركيَّة.

المؤلَّفاتُ

1 ـ مستوى التحصيل العلمي بمرحلة التعليم المتوسط، طرابلس ليبيا، 1989م.

2 ـ الأصول الفلسفية لتنظيم المجتمع، منشورات جامعة طرابلس، ليبيا، 1992م.

3ـ فلسفة مناهج البحث العلمي، منشورات الجأ، 1995م.

4 ـ منهج تحليل المعلومات وتحليل المضمون، منشورات الجأ، مالطا، 1996م.

5 ـ سيادة البشر دراسة في تطور الفكر الاجتماعي، منشورات الجأ، مالطا، 1997م.

6 ـ المفاهيم العلميَّة دراسة في فلسفة التحليل، المؤسسة العربية للنشر وإبداع، الدار البيضاء، 1999م.

7 ـ البُستان الحُلم، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1999م.

8 ـ التصنيف القيمي للعولمة، منشورات الجأ، مالطا، 2001م.

9 ـ الديمقراطية في عصر العولمة (كسر القيد بالقيد)، دار الجأ، مالطا، 2001م.

10 ـ نشوة ذاكرة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2004م.

11 ـ خماسي تحليل القيم، دار الكتاب المتحدة، بيروت، 2004م.

12 ـ منطق الحوار بين الأنا والآخر، دار الكتاب المتحدة، بيروت، 2004م.

13 ـ خدمة الفرد قيم وحداثة، دار الحكمة، 2006م.

14 ـ خدمة الجماعة رؤية قيميَّة معاصرة، دار الحكمة، 2006م.

15 ـ البرمجيَّة القيميَّة لمهنة الخدمة الاجتماعيَّة، الدار الدوليَّة للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م.

16 ـ البرمجية القيميَّة في طريقة تنظيم المجتمع، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م.

17 ـ البرمجية القيميَّة في طريقة خدمة الجماعة، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م.

18. الموسوعة القيميَّة لبرمجية الخدمة الاجتماعيَّة، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م.

19 ـ البرمجية القيميَّة في خدمة الفرد، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2008م.

20 ـ مفاهيم في استراتيجيات المعرفة، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2008م.

21 ـ المقدمة في أسماء الله الحسنى وأثرها في استخلاف الإنسان في الأرض، دار ابن كثير، بيروت ـ دمشق، 2009م.

22 ـ موسوعة أسماء الله الحسنى وأثرها في استخلاف الإنسان في الأرض، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2009م.

23 ـ ألستم من آل البيت، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

24 ـ مختصر موسوعة أسماء الله الحسنى وأثرها في استخلاف الإنسان في الأرض، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

25 ـ خطوات البحث العلمي (من تحديد المشكلة إلى تفسير النتيجة)، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

26 ـ قواعد المنهج وطرق البحث العلمي، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

27 ـ أسماء حُسنى غير الأسماء الحسنى، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

28 ـ آدم من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

29 ـ نوح من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

30 ـ إدريس وهود وصالح من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

31 . إبراهيم وإسحاق وإسماعيل ولوط من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

32 . شعيب من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

33 . يعقوب ويوسف من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

34 . داوود وسليمان من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

35 . يونس من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

36 . أيوب واليسع وذو الكفل وإلياس من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

37 . موسى من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

38 . عيسى من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

39 . محمَّد من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

40 ـ صفات الأنبياء من قصص القرآن، آدم ونوح، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

41 ـ صفات الأنبياء من قصص القرآن، ادريس ويعقوب ويوسف، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

42 ـ صفات الأنبياء من قصص القرآن، أيوب وذو الكفل واليسع والياس، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

43 ـ صفات الأنبياء من قصص القرآن، موسى وهارون وعيسى، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

44 ـ صفات الأنبياء من قصص القرآن، يونس وزكريا ويحيى، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

45 ـ صفات الأنبياء من قصص القرآن، إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ولوط، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

46 ـ صفات الأنبياء من قصص القرآن، هود وصالح وشعيب، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

47 ـ صفات الأنبياء من قصص القرآن، داوود وسليمان، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

48 ـ صفات الأنبياء من قصص القرآن، النبي محمَّد، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

49 ـ موسوعة صفات الأنبياء من قصص القرآن، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

50 ـ موسوعة الأنبياء من وحي القرآن، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

51 ـ التطرُّف من التهيّؤ إلى الحلّ، المجموعة الدولية للطباعة وانشر، القاهرة، 2011م.

52 ـ ألسنا أمةً وسطا، ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2011م.

53 ـ المنهج وطريقة تحليل المضمون، ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2011م.

54 ـ الإرهاب (بين قادحيه ومادحيه) المجموعة الدولية للطباعة وانشر، القاهرة، 2011م.

55 ـ الخوف وآفاق المستقبل، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2011م.

56 ـ سُنن التدافع، شركة الملتقى للطباعة وانشر للطباعة والنشر، بيروت: 2011م.

57 ـ خريف السُّلطان (الرَّحيل المتوقّع وغير المتوقّع) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

58 . من قيم القرآن الكريم (قيم إقداميّة) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

59 . من قيم القرآن الكريم (قيم تدبُّرية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

60 . من قيم القرآن الكريم (قيم وثوقيّة) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

61 . من قيم القرآن الكريم (قيم تأييدية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

62 . من قيم القرآن الكريم (قيم مناصرة) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

63 . من قيم القرآن الكريم (قيم استبصارية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

64 . من قيم القرآن الكريم (قيم تحفيزية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

65 . من قيم القرآن الكريم (قيم وعظية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

66 . من قيم القرآن الكريم (قيم شواهد) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

67 ـ من قيم القرآن (قيم مرجعيّة) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

68 ـ من قيم القرآن الكريم (قيم تسليمية) شركة الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، 2011م.

69 ـ من قيم القرآن الكريم (قيم تسامح)، شركة الملتقي للطباعة والنشر، بيروت، 2011م.

70 ـ من قيم القرآن الكريم (قيم تيقُّنيّة)، شركة الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، 2011م.

71 ـ الرفض استشعار حرية، دار الملتقى، بيروت، 2011م.

72 ـ تقويض القيم (من التكميم إلى تفجّر الثورات)، شركة الملتقى، بيروت، 2011م.

73 ـ ربيع النَّاس (من الإصلاح إلى الحلّ) المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2011م.

74 ـ موسوعة القيم من القرآن الكريم، شركة الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، 2012م

75 ـ أسرار وحقائق من زمن القذافي، المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، ودار المختار طرابلس، 2013م.

76 . وماذا بعد القذافي؟ المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2013م.

77 . ثورات الرّبيع العربي (ماذا بعد؟) المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2013م.

78 . العزل السياسي بين حرمان وهيمنة، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 2014م.

79 . السياسة بين خلاف واختلاف، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 3014.

80 . الهويّة الوطنية بين متوقّع وغير متوقّع، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 2014.

81 . العفو العام والمصالحة الوطنية، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 2014م.

82 . فوضى الحلّ، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 2014م.

83 . بسم الله بداية ونهاية، القاهرة، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، 2015.

84 . من معجزات الكون (خَلق . نشوء . ارتقاء)، المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2016م.

85 . مقدّمة الأنبياء من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

86 . موسوعة الأنبياء من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

87 . آدم من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

88 . إدريس من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

89 . نوح من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م 89 .

90 . هود من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

91 . صالح من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

92 . لوط من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

93 . إبراهيم من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

94 . إسماعيل من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

95 . إسحاق من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

96 . يعقوب من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

97 . يوسف من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

98 . شعيب من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

99 . أيوب من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

100. ذو الكفل من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

101 . يونس من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

102 . موسى من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

103 . هارون من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

104 . إلياس من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

105 . اليسع من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

106 . داوود من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

107 . سليمان من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

108 . زكريا من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

109 . يحيى من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

110 عيسى من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

111 . محمّد من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

112 . الدّعاء ومفاتيحه، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة، 2017م.

113 . صُنع المستقبل، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

114 . الفاعلون من الإرادة إلى الفعل، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

115 . مبادئ التنمية البشريَّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

116 . من الفِكَر إلى الفِكْر، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

117 . التهيؤ، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

118 . منابع الأمل، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

119 . الأمل، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

120 . المبادئ الرئيسة للسياسات الرّفيعة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة، 2018م.

121 . تحدّي الصعاب، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

122 . الواحدية من الخلق إلى البعث، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

123 . مبادئ تحدي الصعاب، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

124 . المعلومة الصائبة تصحح الخاطئة (من الخوف إلى الإرهاب) مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

125 . الممكن (متوقّع وغير متوقّع) مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

126 . مبادئ فكّ التَّأزُّمات، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

127 . الأهداف المهنيّة ودور الأخصائي الاجتماعي، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

128 . تصحيحا للمفاهيم (فاحذروا)، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

129 . العدل لا وسطية ولا تطرف، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

130 . غرس الثّقة (مبدأ الخدمة الاجتماعيَّة)، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

131 . مفاهيم الصّلاة والتسليم على الأنبياء، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2018م.

132 . الخدمة الاجتماعيَّة (قواعد ومبادئ قيميَّة) مكتبة المصرية، القاهرة، 2018م.

133 – كيفيَّة استطلاع الدراسات السَّابقة مكتبة المصرية، القاهرة، 2018م.

134 – الخدمة الاجتماعيَّة (تحليل المفهوم ودراسة الحالة) مكتبة المصرية، القاهرة، 2018م.

135 – الخدمة الاجتماعيَّة (مبادي واهداف قيميَّة) مكتبة المصرية، القاهرة، 2018م.

136 – الخدمة الاجتماعيَّة (مفاهيم مصطلحات)، مكتبة المصرية، القاهرة، 2018م.

137 – التنمية البشريَّة (كيف تتحدّى الصّعاب وتصنع مستقبلًا)، مكتبة القاضي، القاهرة، 2018م.

138 - مبادئ الخدمة الاجتماعيَّة (تحدّي الصّعاب وإحداث النُّقلة) مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2019.

139 _ الإرهاب بين خائف ومخيف، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2019.

140 _ التطرُّف من الإرادة إلى الفعل، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2019.

141 _ البحث العلمي (المنهج والطريقة) مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2019.

142 _ العدل ينسف الظلم، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

143 _ تقويض الإرادة، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

144 _ القوَّة تفكّ التَّأزُّمات، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

145 _ إحداث النُّقلة تحدٍّ، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

146 _ نيل المأمول قمَّة، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

147 _ نحو النظريَّة خلقًا، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

148 _ نحو النظريَّة نشوء، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

149 _ نحو النظريَّة ارتقاء، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

150 – الخلاف (في دائرة التَّاريخ) مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

151- القواعد المنهجية للباحث الاجتماعي والقانوني، القاهرة: دار القاضي، 2220.

152 – قواعد البحث للعلوم الاجتماعيَّة والإنسانيَّة، 2020م.

153 – خطوات البحث العلمي وصناعة الأمل، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2021م.

154 – المنهج العلمي وإحداث النُّقلة، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2021م.

155- دراسة الحالة ودور الأخصائي الاجتماعي، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2021م.

156- قواعد البحث العلمي وصنع المستقبل، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2021م.

157- وسائل التأهب للبحث العلمي، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2021م.

158- حلقات صناعة المستقبل، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2021م.

159- أمحمَّدٌ أميٌّ، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2021م.

160- طرق البحث العلمي ونيل المأمول، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2021م.

161- الطريقة العلميَّة لتحليل مضمون القيم، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2021م.

162-كسر الوهم، القاهرة: مكتبة القاضي، القاهرة: 2022م.

163- معجزات وبعضها من بعض، المصرية، القاهرة: 2022م.

164 . أيد السارقِ تقطع، المصرية، القاهرة: 2022م.

165 – العقل من اللاشيء إلى الشَّيء دراية، مكتبة القاضي، القاهرة: 2022م.

166 – النُّقلة من التكيف إلى التوافق، المصريّة للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

167 – أوهام الأنا (اللاهويَّة)، مكتبة القاضي، القاهرة: 2022م.

168 – استرداد السِّيادة، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م

169 - موت الموت، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

170 – العقل قيد (من الأمّية إلى الاستنارة)، مكتبة القاضي، القاهرة: 2022م.

171 – الرِّجال القوامة، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

172- الدِّراية من الأمر إلى الطاعة، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

173- النشوز والقيم القوَّامة، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

174 – استطلاع الدراسات السابقة (من حيرة الباحث إلى نيل المأمول)، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

175 – الخدمة الاجتماعيَّة الناهضة (قواعد ومبادئ)، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

176 – الخدمة الاجتماعيَّة الناهضة، (غرسُ ثقة، تحدّي صِعاب، إحداثُ نُقلة)، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

177 – الخدمة الاجتماعيَّة النَّاهضة (الدور المهني للأخصائي الاجتماعي)، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

178 – الخدمة الاجتماعيَّة النّاهضة (من التكيّف إلى صنع الأمل)، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

179 – الخدمة الاجتماعيَّة النّاهضة (مجالاتها عمليَّاتها وسائلها)، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

180 – الشَّخصيَّة (من الترجّي إلى التحدي)، المصريّة للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

181 – الشَّخصيَّة الليبيَّة، المصريّة للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

182 – الشَّخصيَّة المتهيّأة، المصريّة للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

183 – الخدمة الاجتماعيَّة النَّاهضة (دراسة الحالة من النشوز إلى قطع اليد)، المصريّة للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

184 – الشَّخصيَّة المتأهِّبة، المصريّة للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

185 – الانحراف من النّشوز إلى الضَّرب، المصريّة للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

186 – التدبُّر، المصريّة للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

187 – التفكير (من التذكّر إلى التفكّر)، المصريّة للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

188 – الاستنارة (من الاستظلام إلى الاستجلاء)، المصريّة للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

189 – الخدمة الاجتماعيَّة الناهضة (من إنجاز الأهداف إلى نيل المأمولًات)، المصريّة للطباعة والنشر، القاهرة: 2023م.

190 – الخدمة الاجتماعيَّة الناهضة (المستويات القيميَّة للتحليل العلمي)، الدار المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2023م.

191- الخدمة الاجتماعيَّة النَّاهضة (الأهداف المهنيَّة وإحداث النُّقلة)، الدار المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2023م.

192 – الخدمة الاجتماعيَّة النَّاهضة (تحدي الصِّعاب يمكن من بلوغ الغايات)، الدار المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2023م.

193 – الخدمة الاجتماعيَّة النَّاهضة (من الإرادة إلى تفعيل المشاركة)، الدار المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2023م.

194 – الخدمة الاجتماعية الناهضة (التطرف بين المعلومة الخاطئة والمعلومة الصائبة)، الدار المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2023م.

195 – الخدمة الاجتماعيَّة النَّاهضة (كيف تصنع أملًا)، الدار المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2023م.

المؤلِّفُ في سطورٍ

أ د. عقيل حسين عقيل

مواليد ليبيا 1953م

بكالوريوس آداب 1976م بدرجة الشّرف الأوَّلى جامعة الفاتح (طرابلس).

ماجستير تربية وتنمية بشريَّة، الولايات المتحدة الامريكيَّة (جامعة جورج واشنطن) 1981م مع درجة الشّرف.

. دكتوراه في الخدمة الاجتماعيَّة.

. أستاذ بجامعة الفاتح كلية الآداب (طرابلس).

. شغل منصب أمين تعليم بلدية طرابلس (1986 . 1990).

. انتخب من قبل مؤتمر الشعب العام مفتشا عامًّا لقطاع الشؤون الاجتماعيَّة، ثمّ كلّف بالتفتيش على وزارتي التعليم العام والتعليم العالي 2006م.

. شغل منصب أمين التعليم العالي (وزيرًا) 2007 . 2009م.

. انتخب أمينًا عامًّا للتنمية البشريَّة بأمانة مؤتمر الشّعب العام 2009م.

. صدر للمؤلّف 92 بحثا نشرت داخل ليبيا وخارجها.

. صدر له (195) مؤلّفًا منها ستة موسوعات.

. أشرف وناقش 83 رسالة ماجستير ودكتوراه.

. مجالات اهتمام المؤلف البحثيَّة:

1 . الخدمة الاجتماعيَّة والتنمية البشريَّة.

2 . طرق البحث الاجتماعي.

3 . الفكر والسياسة.

4 . الإسلاميات.

5 . الأدب

تُرجمت ونشرت له مؤلّفات باللغة الإنجليزية والتركية.

الموقع الإلكتروني: (موقع الدكتور عقيل حسين عقيل)

أو: https://draqeel.com/